

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

مطالب أهل النار يوم القيامة

"دراسة قرآنية"

إعداد

إياد علي أنيس إغبارية

إشراف

أ. د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2019م

مطالب أهل النار يوم القيامة

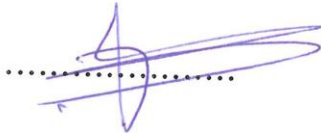
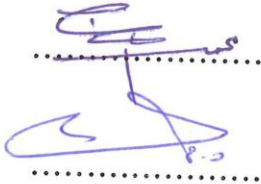
"دراسة قرآنية"

إعداد

إياد علي أنيس إغبارية

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 1 / 9 / 2019م، وأجيزت.

التوقيع



أعضاء لجنة المناقشة

1. أ. د. عودة عبد الله/ مشرفاً ورئيساً

2. د. محمد عياش/ ممتحناً خارجياً

3. د. منتصر الأسمر/ ممتحناً داخلياً

الإهداء

إلى حبيب الحق وسيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه وسلم.

إلى روح والدَيَّ اللذين ربباني على محبة العلم والمعرفة.

إلى إخواني وأخواتي جميعًا.

إلى أساتذتي وشيوخِي.

إلى من رافقتني طيلة مسيرة حياتي، والتي تحملت معي أعباء الحياة، والإنشغال في الدراسة، زوجتي الغالية.

إلى أولادي داعيًا المولى عز وجل أن يوفقهم إلى ما يحبه ويرضى، وأن يرزقهم الذرية الصالحة.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا البحث وكلي أمل أن يجمعني الله بهم في جنته ودار كرامته.

الشكر والتقدير

انطلاقاً من قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"⁽¹⁾.

فإنني أتقدم بوافر الشكر والعرفان إلى مشرفي الأستاذ الدكتور عودة عبد الله؛ الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، والذي لم يألُ جهداً في إسداء التوجيهات والملاحظات، وعلى ما خصني به من نصح، وما بذله معي من جهد في إشرافه، حتى خرجت على هذا النحو، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما أتوجه بالشكر إلى عضوي لجنة المناقشة فضيلة الدكتور منتصر الأسمر، وفضيلة الدكتور محمد عياش؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة.

كما وأتقدم بالشكر الخاص إلى أساتذتي وشيوختي في كلية الدعوة والعلوم الإسلامية أم الفحم، وأخص بالشكر كل من الدكتور موسى البسيط، والدكتور عبد الرحيم خليل، والدكتور رائد فتحي، والدكتور مشهور فواز، والدكتور حسين وليد، الذين كان لهم الفضل علي في تحصيل العلم والمعرفة والعمل.

وأشكر كل من وقف بجانبني حتى أنهيت دراستي الجامعية، والدّي الحبيبين رحمهما الله وأسكنهما فسيح جناته، وزوجتي الغالية.

وكل من ساندني ولو بدعوة في ظهر الغيب فجزاهما الله تعالى خير الجزاء، وجعل دعمهم ومساندتهم وجهدهم في ميزان حسناتهم.

(1) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف، رقم الحديث (4811)، (4/255)، صححه الألباني؛ يُنظر: الألباني، محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، بيروت، (د.ت)، (د.ت)، (2/1122).

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

مطالب أهل النار يوم القيامة

"دراسة قرآنية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه
حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو بحث
علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the
researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other
degree or qualification.

Student's name

اسم الطالب:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	المُلخَص
1	المُقدِّمة
9	الفصل الأول: تعريف عام بالنار وحقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة
10	المبحث الأول: تعريف النار، وصفاتها، والأعمال التي تؤدي إلى الدخول إليها
10	المطلب الأول: تعريف النار في اللغة والاصطلاح
12	المطلب الثاني: صفات النار وأحوالها
17	المطلب الثالث: الأعمال التي تؤدي إلى دخول النار
20	المبحث الثاني: حقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة
20	المطلب الأول: تعريف المطالب في اللغة والاصطلاح
23	المطلب الثاني: مدى تحقق مطالب أهل النار
25	الفصل الثاني: مطالب أهل النار من الله عز وجل
29	المبحث الأول: طلب رؤية من كان سببا في إضلالهم وكفرهم.
31	المبحث الثاني: طلب مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار.
34	المبحث الثالث: طلب الخروج من النار.
39	المبحث الرابع: طلب الرجوع إلى الدنيا.
44	الفصل الثالث: مطالب أهل النار من خزنة جهنم
48	المبحث الأول: طلب التخفيف من عذاب النار
52	المبحث الثاني: طلب الموت للخلاص من عذاب النار
55	الفصل الرابع: مطالب أهل النار من أهل الجنة
58	المبحث الأول: طلب إفاضة الماء والطعام عليهم
64	المبحث الثاني: طلب الانتظار لاقتباس النور منهم
69	الفصل الخامس: أهداف مطالب أهل النار يوم القيامة

71	المبحث الأول: التبرؤ من الكافرين
78	المبحث الثاني: تمني الإيمان والتمسك به
82	المبحث الثالث: زيادة الأعمال الصالحة
85	الفصل السادس: رد القرآن الكريم على مطالب أهل النار
87	المبحث الأول: الخلود في النار وعدم الخروج منها
94	المبحث الثاني: تحريم الخير على أهل النار
96	المبحث الثالث: إشعار أهل النار بالحسرة والندم على أعمالهم
98	الخاتمة
100	الفهارس والقوائم العامة
100	فهرس الآيات الكريمة
112	فهرس الأحاديث الشريفة
121	قائمة المصادر والمراجع
B	Abstract

مطالب أهل النار يوم القيامة

دراسة قرآنية

إعداد

إياد علي أنيس إغباريه

إشراف

أ.د. عودة عبد الله

الملخص

إن من نعم الله تبارك وتعالى على عباده أن أنزل عليهم كتابه العظيم، الذي أفصح فيه عن معالم الفوز والخسران وعواقب كل منهما، من هنا جاءت هذه الدراسة لتقدم عواقب الخسران، وبيان مطالب كل من تتكبد عن طريق الحق والدين، فجاءت هذه الدراسة خطوة على درب الدراسات القرآنية، وهي بعنوان: مطالب أهل النار يوم القيامة، حيث أوضح الباحث بيان المقصود من أهل النار وحقيقة مطالبهم من خلال الآيات القرآنية التي اعتنت ببيان ذلك، وتم تقسيم آيات الموضوع إلى ثلاثة محاور: مطالب أهل النار من الله تعالى، ومطالب أهل النار من خزنة جهنم، ومطالب أهل النار من أهل الجنة.

وختمت هذه الدراسة ببيان الرد القرآني على هذه المطالب التي تمنها أهل النار، والأهداف التي من شأنها شرعوا بها في الطلب.

وتأتي أهمية هذه الدراسة في الوقت الذي تجرأ فيه العباد على انتهاك حرمان الله سبحانه وتعالى، وعدم الاكتراث بعواقب هذه الانتهاكات الصارخة.

وتوصل الباحث في هذه الدراسة إلى نتائج، من أظهرها: تقرير عقيدة البعث والجزاء التي جعلت الكثير من أهل النار يكفرون بها في دنياهم، وأن هذه المطالب التي رفعها أهل النار وتوجهوا بها إلى رب العزة سبحانه وتعالى ما هي إلا أمني لا يمكن تحقيقها؛ لأنهم ضيعوا الفرصة التي أعطيت لهم في دار الدنيا.

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على المبعوث رحمةً للعالمين سيدنا محمد الهادي الأمين صلوات الله وسلامه عليه في الملاء الأعلى إلى يوم الدين، وبعد:

فإن خير ما صرفت فيه الجهود العلمية من تعلم وتعليم، هو كتاب الله العلي العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم خبير، عجز العرب والعجم عن الإتيان بمثله، ففاق طاقاتهم وهزّ كبرياءهم، وجاءت آياته على نحو مغاير من الكلام العربي الرصين، فهو العصمة الكبرى والمنحة العظمى، أخرج الناس من الظلمات إلى النور، أنزله الله تعالى ليحيي به أمة وينشئ به جيلاً يكون أملاً في مستقبلها، بحيث يتمتع الفرد منهم بوعي عميق وإدراك دقيق؛ ليكون عليهم المعوّل في الحفاظ على مكاسب هذه الأمة وخوض معاركها الضارية والمصيرية ضد أعدائها، ولكن أبت أمة القرآن إلا أن تهجر القرآن، فما أشقى من تعرض لدائه وأعرض عن دوائه ولم يسعَ لشفائه وعلاجه.

فإن الحديث عن يوم القيامة ذو شجون كثيرة، نظراً لما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية من بيان أحوال الناس يوم القيامة، وبيان عرصات يوم القيامة، وأحوالها بما فيها من أهوال صعب، فجاءت هذه الدراسة لترصد بعضاً من مشاهد يوم القيامة في بيان مطالب أهل النار من الله تعالى، وملائكته المخوّلين بالعذاب، ومن أهل الجنة، في مشاهد مروعة ومخيفة، لما يصحبها من تساؤلات عدة عن بيان مواقف الناس وأحوالهم يومئذٍ.

واستكمالاً للجهود العلمية فقد أكرمني الله تعالى باختيار هذا البحث الموسوم بـ "مطالب أهل النار يوم القيامة: دراسة قرآنية"؛ ليبين نداءات واستغااثات أهل النار، وما يُستفاد من ذلك من دلالات وعبر.

الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على ما كُتب حول موضوع مطالب أهل النار يوم القيامة، في العديد من المكتبات والمواقع الإلكترونية؛ تأتّى للباحث الوقوف على أبرز الدراسات السابقة؛ ممثلة فيما يأتي:

1. رسالة ماجستير بعنوان: "الحوار في مشاهد القيامة في القرآن الكريم: دراسة دلالية

بيانية"؛ للباحثة هالا سعيد محمد مقل، من قسم اللغة العربية وآدابها، في جامعة الشرق

الأوسط، في تخصص اللغة العربية وآدابها، الأردن، (2011م).

تقوم هذه الدراسة على توضيح آيات الحوار في مشاهد يوم القيامة من الناحيتين الدلالية، والبيانية، وتحليل المشهد القرآني بجزئياته وکلياته، وربط الحوار بالسياق الذي ورد فيه، وتوضيح الدلالات الدقيقة للألفاظ، وتحليل مضمونها، وبسط الصور البيانية فيها.

2. رسالة ماجستير بعنوان: "أسلوب التمني في القرآن الكريم"؛ للباحث: مختار عمر مختار

الشنقيطي، تخصص القرآن الكريم وعلومه، في كلية الدراسات الفقهية القانونية، بجامعة آل

البيت، السعودية، (د.ت).

تقوم هذه الدراسة على إظهار الإعجاز القرآني من خلال التعبير الفنية التصويرية، وتصوير دوائر النفوس بأسلوب إعجازي مطلع على الملكات والأحاسيس والمكونات الإنسانية الداخلية العميقة.

3. رسالة ماجستير بعنوان: "أوصاف النار وأهلها وأسباب دخولها في ضوء القرآن الكريم:

دراسة موضوعية"؛ للباحثة: فداء حسين الفراء، من قسم التفسير وعلوم القرآن، بكلية أصول

الدين، في الجامعة الإسلامية بغزة، (2013).

بينت الباحثة في هذه الدراسة أوصاف النار وأهلها من خلال الوقوف على أسمائها، وأوديتها، وأنواع العذاب فيها، وأحوال أهلها، وبيان طعامهم، وشرابهم، ولباسهم، والجرائم التي استحقوا من خلالها دخول النار.

ما تميّزت به الرسالة:

تميّزت هذه الرسالة عن الدراسات السابقة؛ بأنّها جمعت مطالب أهل النار واستغاثتهم التي كانت على ثلاثة محاور: مطالب أهل النار من الله تعالى، ومطالب أهل النار من خزنة جهنّم، ومطالب أهل النار من أهل الجنّة، ومما امتازت به هذه الدراسة أنّها اقتصرّت على الحديث عن مطالب أهل النار من غير التطرق إلى صور العذاب وأنواعه وألوانه بشكل مفصل، وإنما تحدّدت في الحديث عن استغاثات أهل النار، من طلب الخروج منها، والرجوع إلى الدنيا من أجل النجاة من أهوال النار وفضاعتها، وبيان الرد القرآني على مطالبهم التي استجدوا بها، على خلاف الدراسات السابقة التي تمحورت في حديثها عن الأحوال والأهوال من غير التطرق إلى المطالب بشكل مستقل ومفصل.

أسباب اختيار البحث:

1. ابتغاء مرضاة الله تعالى، وهذا أسمى هدف، وأرجى غاية.
2. كون هذه الدراسة قرآنيّة بحثة؛ جاءت لتبرز المعالم القرآنية التربوية في نفوس المؤمنين، وهو أمر عظيم يتشرف من يتناوله دراسة وتدبراً.
3. كون هذه الدراسة تختص في الحديث عن عالم الآخرة التي غفل عنها بشكل كبير من مسلمي هذا العصر.
4. قلة البحوث المتخصصة في هذا المجال.

أهميّة البحث:

1. تكمن الأهميّة العظيمة لهذا الموضوع؛ في أنّه يتّصل مباشرةً بأشرف العلوم، وأرفعها، وأجلّ الكتب، وأكرمها، وهو القرآن الكريم.
2. يستمدّ هذا الموضوع أهميّته؛ كونه متعلق بيوم القيامة.

3. كما تبرز أهميّة هذا الموضوع في اجتراء الناس على انتهاك حرّمات الله وتجاوز حدوده وأوامره، وبالتالي تأتي هذه الدراسة؛ لتحذر كل من يتجرأ على تجاوز حدود الله بأنه سيكون له نصيباً من هذا العذاب.

حدود الدّراسة الموضوعية:

تتحدد هذه الدراسة في بيان مطالب أهل النار فحسب، من غير التطرق إلى صور العذاب وأحوال الناس فيها بشكل مفصل، وإنّما انحصرت في بيان صور المطالب من خلال القرآن الكريم، وبيان أنواعها، والرد عليها، وبيان أهدافها التي حملتهم على التّمني.

مشكلة البحث:

تمثلت مشكلة البحث في استظهار "مطالب أهل النار يوم القيامة"، وتركّز البحث حول الإجابة عن الأسئلة الآتية:

1. هل تحدث القرآن الكريم عن مطالب أهل النار يوم القيامة؟

2. ما هي مطالب أهل النار من الله عزّ وجلّ؟

3. ما هي مطالب أهل النار من خزنة جهنّم؟

4. ما هي مطالب أهل النار من أهل الجنّة؟

5. ما هي الأهداف التي حملت أهل النار على هذه المطالب؟

منهجية البحث:

اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية التي تحدثت عن مطالب أهل النار يوم القيامة، ثم انتهجت الأسلوب التحليلي في تحليل ودراسة آيات المطالب وفق منهجية البحث في التفسير الموضوعي، وقد اتبعت فيه الخطوات الإجرائية الآتية:

1. عزو الآيات الكريمة إلى السور القرآنية.
2. عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها الرئيسية.
3. اعتمدت في بحثي على المصادر التي تُعدُّ من أمّات الكتب.
4. التزمت الأمانة العلمية في البحث؛ فلم أنسب كلامًا لم أقله لذاتي، وإنّما توخّيت الحيطة والحذر في ذلك؛ فنسبت الأقوال والتفاسير إلى قائلها؛ من خلال التوثيق العلمي الدقيق.
5. توخّيت سلامة التركيب النحويّ، كما تقتضي قواعد اللغة؛ ليخرج البحث في حلّة تليق بموضوعه المهمّ.
6. أما التوثيق؛ فقد سلكت فيه طريقة جامعة النجاح، ذكر اسم الشهرة لصاحب الكتاب أولاً، ثم الاسم، وذكر سنة الوفاة للعلماء القدامى، ثم اسم الكتاب الذي نقلت عنه بالخط الغامق، ثم بعد ذلك اسم المحقق إن وجد، ورمزت له بـ(تح)، ثم ذكرت بعد ذلك دار النشر ومكان النشر، ثم ذكرت رقم الطبعة إن وجد، وإن لم يوجد رمزت له بـ(د. ط)، ثم ذكرت سنة النشر إن وجد، فإن لم توجد رمزت له بـ(د. ت)، ثم بعد ذلك ذكرت رقم الجزء ورقم الصفحة.
7. لم أترجم للأعلام الوارد أسمائها في البحث.
8. ذيلت البحث بفهرس للآيات حسب ترتيب السور في نهاية البحث، ورتبتها حسب ترتيب المصحف.
9. وأعددت فهرساً للأحاديث الشريفة، ورتبتها حسب حروف المعجم، بعد فهرس الآيات.
10. وذيّلت البحث بقائمة للمصادر والمراجع

خطّة البحث:

قُسمت هذه الدراسة بعد المقدمة إلى ستّة فصول، ثم خاتمة تتضمّن النتائج، والتوصيات التي استخلصها الباحث؛ وذلك على النحو الآتي:

الفصل الأول: تعريف عام بالنار وحقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة

المبحث الأول: تعريف النار، وأوصافها، والأعمال التي تؤدي إليها

المبحث الثاني: حقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة

الفصل الثاني: مطالب أهل النار من الله عز وجل

المبحث الأول: طلب رؤية من كان سبباً في إضلالهم وكفرهم

المبحث الثاني: طلب مضاعفة العذاب على من تسبّب في دخولهم النار

المبحث الثالث: طلب الخروج من النار

المبحث الرابع: طلب الرجوع إلى الدنيا

الفصل الثالث: مطالب أهل النار من خزنة جهنّم

المبحث الأول: طلب التخفيف من عذاب النار

المبحث الثاني: طلب الموت للخلاص من عذاب النار

الفصل الرابع: مطالب أهل النار من أهل الجنّة

المبحث الأول: طلب إفاضة الماء والطعام عليهم

المبحث الثاني: طلب الانتظار لاقتباس النور منهم

الفصل الخامس: أهداف مطالب أهل النار يوم القيامة

المبحث الأول: التبرُّو من الكافرين

المبحث الثاني: تمَنِّي الإيمان والتمسَّك به

المبحث الثالث: القيام بالأعمال الصالحة

الفصل السادس: ردَّ القرآن الكريم على مطالب أهل النار

المبحث الأول: الخلود في النار وعدم الخروج منها

المبحث الثاني: تحريم الخير على أهل النار

المبحث الثالث: إشعار أهل النار بالحسرة والندم على أعمالهم

الخاتمة

الفصل الأول

تعريف عام بالنار وحقيقة مطالبهم يوم القيامة

المبحث الأول: تعريف النار، وصفاتها، والأعمال التي تؤدي إليها

المبحث الثاني: حقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة

الفصل الأول

تعريف عام بالنار وحقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة

خلق الله تعالى العباد بأمره، وأمرهم سبحانه بعبادته، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: 56)، ونصب لهم الأدلة على عظمتهم وكبريائهم سبحانه وتعالى من خلال القرآن؛ ليعرفوه، ويخشوه، ويخافوه.

ولم يخلق الإنسان عبثاً، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (المؤمنون: 115)، ولا يزال القرآن الكريم ينبّه ويذكّر فمن شاء فليذكر، ومن لم يشأ فهو وشأنه وما يختار من جنة أو نار.

المبحث الأول

تعريف النار، وصفاتها، والأعمال التي تؤدي إليها

خلق الله تعالى الخلق وأمرهم بعبادته؛ ليجزي كلًّا من المحسن على إحسانه والعاصي على عصيانه، وأبان لهم معالم الفوز والضلال، وبيّن صفات وحياة كلّ منهما يوم القيامة، مبينًا كذلك صفة كلّ من نعيم أهل الجنة وشقاء أهل النار، وحذرهم سبحانه وتعالى من الأعمال الموجبة للدخول في النار.

وقد ذكر الله عز وجل النار في القرآن بأل التعريف مائة وستًا وعشرين مرة، ولفظ "نار" تسع عشرة مرة¹.

المطلب الأول: تعريف النار في اللغة والاصطلاح

أولاً: تعريف النار في اللغة

ورد في تاج العروس: أن النار يقال "لهيب الذي يبدو للحاسة، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ (الواقعة: 71)، وقد تطلق على الحرارة المجردة، وتطلق على نار جهنم المذكورة في قوله تعالى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْأَمْصِرُ﴾ (الحج: 72)²، وقد تكون بمعنى: "عنصر طبيعيّ فعّال، يُمثّله الثور والحرارة المحرقة، وتطلق كذلك على الحرارة المحرقة، شيء مُحْرِق مضيء، ناجم عن احتراق المادّة"³، جمعها نيران⁴.

¹ يُنظر: عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، لبنان، (ط2)، 1981م، (815-817).

² الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق، (ت: 1205هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، لبنان، (د.ط)، (د.ت)، (304/14).

³ مصطفى، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت)، (962/2). مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، 2008م، (2303/3).

⁴ يُنظر: مصطفى، المعجم الوسيط، (962/2).

ويُستخلص ممّا سبق: أنّ النار مادة حارقة بلهيبها، وحرارتها، أعدّها الله تبارك وتعالى لعباده المخالفين لأمره.

ثانيًا: تعريف النار في الاصطلاح

عرف الدكتور عمر الأشقر النار بقوله: "هي الدار التي أعدّها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يُسجن فيه المجرمين"¹.

إنّ الله تعالى خلق النار وجعلها دار عذاب، وكتب على أهلها الخلود لمن كفر به، وخرج عن أمره، ودار عذاب أيضًا لمن عصاه من أهل التوحيد، وهم الذين رجحت سيئاتهم على حسناتهم، فاستحقوا العذاب، وإنّ هذا العذاب يشمل الأرواح والأجساد معًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (هود: 106-107)، ولحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ ذَرَّةً"²، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا تَنْضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: 56)³.

¹ الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، الجنة والنار، دار النفائس، الأردن، (ط7)، 1998م، (ص11).

² مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة، حديث رقم (193)، (182/1).

³ يُنظر: ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مكتبة الشركة الجزائرية مراقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، (ط2)، (د.ت)، (126 - 126).

ومن هنا نلمح أنّ الله سبحانه وتعالى جعل النار دارًا للجزاء لا آخر لها، ولا فناء، فسخطه سبحانه موجبٌ للنار¹.

المطلب الثاني: صفات النار وأحوالها

إنّ النار عذابها شديد، وقعرها بعيد، لهيبها مستعر وفظيع، وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، تتناسب طبيعتهم مع طبيعة العذاب الذي هم به موكلون، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظُ شِدَادٍ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: 6).

ولقد تكرر في القرآن ذكر النار وما أعده الله لأهلها من الخزي والنكال والبوار، وما احتوت عليه من الزقوم، والضريع، والحميم، والسلاسل، والأغلال، إلى غير ذلك مما فيها من العظائم والأهوال، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه؛ ليتحقق الغرض الديني وهو طاعة الله عز وجل.

وقد ورد ذكر النار في القرآن الكريم بأسماء كثيرة؛ لعظمها وشدة هولها، للدلالة على شرف المسمى أو كماله، فكثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء يوم القيامة دلت على كمال شدته وهوله، وكثرة أسماء الله الحسنى دلت على كمال جلاله سبحانه وعظمته، وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دلت على علوّ رتبته وسموّ درجته ومكانته، وكثرة أسماء القرآن دلت على شرفه وفضيلته².

وهذه الأسماء التي وردت في القرآن الكريم في الحديث عن النار لا تخرج عن كونها إمّا اسمًا لها، أو صفة من صفاتها، أو اسمًا وصفة معًا.

¹ يُنظر: ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، (77/3).

² يُنظر: الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر، (ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1996م، (88/1).

فالحطمة مثلاً هي صفة من أسماء النار؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (الهمزة: 4)؛ لأنها تحطم من فيها¹.

كما أن جهنم كذلك اسم للنار وصفة لعمقها فهي أعمق موضع في النار؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ (مريم: 68)، كالفردوس الذي هو اسم لأعلى موضع في الجنة².

ومن هذه الأسماء³:

1. جهنم، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝ لِلطَّاغِينَ مَكَابًا﴾ (النبأ: 21-22).
2. الجحيم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَبُورَتْ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ (النازعات: 36).
3. السعير، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ (الشورى: 7).
4. سقر، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ (المدثر: 26-27).
5. الحطمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (الهمزة: 4).
6. الهاوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ ۝ نَارُ حَامِيَةٍ﴾ (القارعة: 8-11).
7. دار البوار، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۝ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ (إبراهيم: 28-29).

¹ يُنْظَرُ: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1419هـ، (457/8).

² يُنْظَرُ: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

³ القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (ت: 1440هـ)، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط)، (د.ت)، (380/1).

أما صفات النار التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، فهي كثيرة، أهمها:

1. النار محبس للكفار ومرجع يرجعون إليه، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٦١﴾ لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا﴾ (النبا: 21-22)، ومعنى الآية: "أن جهنم كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار؛ ليعذبهم فيها، أو هي في نفسها متطلعة لمن يأتي إليها من الكفار"¹، وأما قوله تعالى: (لِلظَّالِمِينَ مَعَابَا)؛ أي: المرجع، والطاغون من طغى بالكفر، وبذلك تعين لمن تكون جهنم مرصدا فهي للطاغين الذين يرجعون إليها².

2. لها سبعة أبواب، لكل باب قدر معلوم من الناس يدخلون منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: 43-44)؛ أي: أن أبواب جهنم طبقات بعضها فوق بعض، وتسمى هذه الطبقات بالدركات، حيث أعدها الله تعالى لأتباع الشيطان، وجعل لكل منهم قسما ونصيبا مقسوما من العذاب في طبقته، وبذل على كونها كذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (النساء: 145)³؛ أي: أنها مطبقة عليهم، فلا خروج لهم منها ولا محيد لهم عنها⁴.

3. وقودها الناس والحجارة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 24)، وسبب اختيار الحجاره؛ لبيان

¹ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، (ط1)، 1414هـ، (442/5).

² يُنظر: أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، (ت: 745هـ)، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1420هـ، (10/386)، الشوكاني، فتح القدير، (441/5).

³ يُنظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م، (105/17). البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية (ط4)، 1997م، (59/3). الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2000م، (146/19).

⁴ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (409/8).

قوتها وشدتها، إذ النار محرقة للحجارة¹. فإن كانت هذه النار محرقة للحجارة القاسية الصماء فهذا دليل على عظم تلك النار، وأن حرقها للناس أسرع وأشد لهم ألماً وعذاباً.

4. أنها تطلب الاستزادة في السعة رغم امتلائها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ (ق: 30)؛ أي: إن لجهنم إرادة ورغبة في الزيادة والاستكثار من الداخلين فيها²، وفي هذا ترويع المدفوعين إلى النار أن لا يطمعوا في أن كثرتهم يضيق بها سعة جهنم فيطمع بعضهم أن يكون ممن لا يوجد له مكان فيها، وفي هذا عبرة لمن يسمعه من المشركين وتعليمًا لأهل القرآن المؤمنين كي يتقوا النار وعذابها³.

5. خزنتها من الملائكة، قال تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرَدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَيْنَا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ (المدثر: 30-31)، وما جعل الله خزنة جهنم من الملائكة إلا لعذاب أهل النار وعقابهم في الآخرة، ولزيادة نكالهم فيها، وجعل عدتهم تسعة عشر.

6. مطبقة ومغلقة، وأهلها موثقون في عمد ممددة، قَالَ تَعَالَى: ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفَاقَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ (الهمزة: 6-9)، وصف الله أبواب جهنم أنها مغلقة على أهلها؛ لأن جهنم محبس لهم، وهذا حال السجن، حراس شداد، وأبوابه محكمة الإغلاق⁴، قال قتادة: "فلا ضوء فيها ولا فرج، ولا خروج منها آخر الأبد"⁵.

¹ يُنْظَرُ: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، (ت: 597هـ)، زاد المسير في علم التفسير، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط1)، 1422هـ، (44/1).

² يُنْظَرُ: أبو حيان، البحر المحيط، (9/ 538).

³ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، (د.ط)، 1984م، (26/ 317-318).

⁴ يُنْظَرُ: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1998م، (1/ 28).

⁵ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 447).

وإنما أغلقت النار لتشديد العذاب والنكال بأهلها بما لا يطيقون من الحصر، والإغلاق وعدم الخروج والبقاء في الظلام.

7. ذات لهب، تتوقّد وتتوهّج، قال تعالى: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ (المسد: 3)، وقال تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ (الليل: 14)، فمن صفات النار أنها متوقدة؛ أي: نار عظيمة¹، ذات شعل²، وذات لهب تلتهب على أهلها من غير دخان³. وذهب جمهور المفسرين إلى أنّ المعنى المراد في (نَارًا تَلَظَّى) بأنها ذات لهب، وذات توقّد، وتوهّج⁴، وفي هذه الآية ينذر الله تعالى عباده نار جهنم الملتهبة والمتوقدة ويحذرهم من عصيانه، والكفر به لئلا يصلون هذه النار⁵.

8. ومغيرة لأهلها، ومسودة لوجوههم وأبدانهم، قال تعالى: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾ ﴿لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: 26-29) ومعنى: (لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ)؛ أي أنها تسود البشرة بإحراقها⁶، فتكون مغيرة لهم، إذ يقال: لاحته الشمس؛ إذا غيّرته⁷، والعرب

¹ يُنظر: أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982هـ)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (9/ 211).

² يُنظر: السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت)، (3/ 632).

³ يُنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (4/ 503).

⁴ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 477). النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1998م، (20/ 375). الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح: الشيخ محمد علي معوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، 1418هـ، (5/ 600)، النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1416هـ، (6/ 512)، البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1995م، (22/ 93). أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (9/ 167)، الشوكاني، فتح القدير، (5/ 552).

⁵ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 477).

⁶ يُنظر: الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، معاني القرآن، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (ط1)، (د.ت)، (3/ 203).

⁷ يُنظر: ابن قتيبة، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، غريب القرآن، تح: محمد علي النجار وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، (ط1)، (د.ت)، (ص496)، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، الإتيقان في علوم القرآن، تح: الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2008م، (2/ 50).

تقول: لآحه الحر والبرد والمرض والحزن إذا غيَّره¹، وأما المراد في البشر، فهي جمع بشرة، وهي الجلدة²، فيكون المعنى أن من صفات هذه النار أنها تحرق جلود أهلها فتسود جلودهم لتشمل الوجوه، وبهذا تكون مغيرة لهم.

9. شراب أهلها الماء الحار والصديد، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ ^(٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ^(النبا: 24-25)، لقد أخبرنا الله تعالى أن أهل النار لا يذوقون فيها ما يبرد وينفس عنهم حر النار، ولا شراب يسكن من عطشهم، إلا أنهم يذوقون فيها حميما وغساقا³، وبهذا يحصل لهم العذاب الحسي والمعنوي معاً⁴.

ويقول الطاهر بن عاشور: والشراب هو ما يشرب، والمراد به الماء الذي يدفع العطش⁵، فشراب الحميم عذاب حسّي في موضع أشدّ ما تطوق النفس إليه لشرب الماء البارد للتخفيف من شدة الحرّ عليها. والحميم: الماء الشديد الحرارة⁶، الذي أغلي حتى انتهى حرّه⁷، وأما الغساق فهو: الصديد الذي يسيل من الجروح الناتجة عن الحرق⁸.

المطلب الثالث: الأعمال التي تؤدي إلى دخول النار

لقد بيّن لنا القرآن الكريم في مواطن كثيرة أن جميع الرسل أمروا بالتوحيد؛ أي: بعبادة الله وحده لا شريك له، ونهوا عن عبادة شيء من المخلوقات سواه أو اتخاذه نداً؛ ويخبر أن أهل السعادة هم أهل التوحيد وأنّ المشركين هم أهل الشقاوة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلُمُ نَفْسٌ إِلَّا

¹ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، (5/ 393).

² يُنظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1988م، (2/ 270).

³ يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (9/ 91).

⁴ يُنظر: القرضاوي، يوسف، السنة مصدرًا للمعرفة والحضارة، دار الشروق، بيروت، (ط1)، 1997م، (ص94).

⁵ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 37).

⁶ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 164). القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، (ت: 671هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2)، 1964م، (19/ 181). ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 37).

⁷ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (24/ 164).

⁸ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (19/ 181). ابن عاشور، التحرير والتنوير، (30/ 38).

بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ (فصلت: 46)، فينبغي على الإنسان أن يصرف كل همته ليجتهد في ما هو مهم، والامتناع عن تضييع الزمان بما هو غير ضروري، وأهم الأمور للخلق كافة نيل السعادة الأبدية واجتناب الشقاوة السرمدية، وقد بعث الله الأنبياء إلى الناس وأخبروهم بأن الله على عباده حقوقاً ووظائف في أفعالهم وأقوالهم وعقائدهم، وأن من لم يكن صادق اللسان ولم ينطو على الحق ضميره ولم تنترين بالعدل جوارحه فمصييره إلى النار وعاقبته إلى الهلاك¹.

وقد سئل ابن تيمية: ما عمل أهل النار؟

فأجاب: "عمل أهل النار: فمثل الإشراك بالله، والتكذيب بالرسول، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر، والبطر عند النعم، وترك فرائض الله واعتداء حدوده، وانتهاك حرمانه، وخوف المخلوق دون الخالق، ورجاء المخلوق دون الخالق، والتوكل على المخلوق دون الخالق، والعمل رياء وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب بالباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجدد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة...، و"السحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"².

ويستفاد من إجابة ابن تيمية أن أعمال أهل الجنة جميعها تدخل في طاعة الله ورسوله وأن أعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

¹ يُنظر: الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، الاقتصاد في الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، (1ط)، 2004م، (ص12).

² ابن تيمية، نقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، تج: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د.ط)، 1995م، (10/422).

وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿ (النساء: 13)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (النساء: 14).

هذا وقد أطل القرآن الكريم في بيان أن الكفر والشرك أعظم جرائم أهل النار الخالدين فيها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (الإسراء: 97-98)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴾ (طه: 99-101)، فوافق العذاب الذنب، فلا ذنب أعظم وأبشع من الكفر والشرك، ولا عذاب أعظم من النار¹.

¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (181 / 19)

المبحث الثاني

حقيقة مطالب أهل النار يوم القيامة

يتناول هذا المبحث إضاءة حول مفهوم مطالب أهل النار في اللغة والاصطلاح، وبيان المعنى الذي تناوله الباحث واعتمده في بحثه.

المطلب الأول: تعريف المطلب في اللغة والاصطلاح

أولاً: المطلب لغةً

والمطلب في اللغة من فعل طلب، وعليه فإن الجذر الثلاثي لمادة مطلب هو طلب، ورد في معجم مقاييس اللغة: "الطاء واللام والباء أصل واحد يدلّ على ابتغاء الشيء، يقال: طلبت الشيء أطلبه طلباً، وهذا مطلبي، وهذه طلبتي، وأطلببت فلاناً بما ابتغاه؛ أي: أسعفته به، وربما قالوا: أطلبته، إذا أحوجته إلى الطلب"¹، والتطلبُ: يكون مرةً بعد أخرى².

والطلب: هو محاولة وجدان الشيء وأخذه³، وأصل الطلب "الفحص عن وجود الشيء عيناً كان ذلك الشيء أو معنى"⁴، والطلب "يُقَالُ فِيْمَا تَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِكَ وَفِيْمَا تَطْلُبُهُ مِنْ نَفْسِكَ"⁵.

¹ ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، (ت: 395هـ)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1979م، (3/ 417).

² يُنْظَر: الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1987م، (1/ 172).

³ يُنْظَر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، (ت: 711هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (ط1)، (د.ت)، (1/ 559). الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط8)، 2005م، (ص109).

⁴ الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، (ط1)، 1412هـ، (ص522). السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1996م، (2/ 410).

⁵ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تح: محمد المصري وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (ص581).

ويستخلص ممّا سبق أنّ المطلب من مادة (طلب): وهو الرغبة في البحث عن وجود الشيء من أجل الحصول عليه وأخذه.

ثانيًا: المطلب اصطلاحًا

المطلب: هو "محبة حصول الشيء على وجه يقتضي السعي في تحصيله لولا مانع من الاستحالة والبعد كما في التمني¹.

والطلب قد يكون أمرًا أو دعاءً أو التماسًا، وهذا يكون باختلاف صورته، فإن "كان بطريق العلو سواء كان عاليًا حقيقة أم لا فهو أمر، وإن كان على طريق السفلى سواء كان سافلا في الواقع أم لا فدعاء"²، "وإن كان بطريق التساوي فالتماس"³.

"والطلب مع الخضوع مطلقًا ليس بدعاء، بل الدعاء مخصوص بالطلب من الله تعالى في العرف وفي جميع الاصطلاحات، والالتماس لا يستعمل إلا في مقام التواضع، وأمّا السؤال فهو أعمّ منها والمطلوب به إن كان ممّا لا يمكن فهو التمني، وإن كان ممكنًا، فإن كان حصول أمر في ذهن الطالب فهو الاستفهام، وإن كان حصول أمر في الخارج، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل فهو النهي، وإن كان ثبوته فإن كان بأحد أحرف النداء فهو النداء، وإلا فهو الأمر، والطلب فعل اختياري لا يتأتى إلا بإرادة متعلقة بخصوصية المطلوب موقوفة على امتياز عده"⁴

أمّا عن أنواع الطلب فهي خمسة: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء. ومنهم من جعل التّرجي قسمًا سادسًا من الطّلب. ومنهم من أخرج التمني والنداء من أقسام الطّلب بناء على أنّ العاقل لا يطلب ما يعلم استحالاته، فالتمني ليس طلبًا ولا يستلزمه، وإنّ طلب الإقبال خارج عن

¹ الفاروقي، محمد بن علي بن القاضي محمد حامد، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، (ط1)، 1996م، (2/ 1137).

² الكفوي، الكليات، (582).

³ الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (2/ 1137).

⁴ الكفوي، الكليات، (582).

مفهوم النداء الذي هو صوت يهتف به الرجل، وإن كان يلزمه ولا بدّ من أن يعدّ الدعاء والالتماس من أقسام الطلب أيضاً¹.

ويُستخلص ممّا سبق: أنّ المطالب قد تكون أمرًا، أو دعاءً، أو التماسًا، كما أنّها تأتي على ألوان متعددة الصور من الاستفهام والنداء والتمني والنهي، أمّا مطالب أهل النار التي جاءت بها هذه الدراسة، فهي تجمع بين الاستفهام والتمني والنداء، وكلّها في محور الدعاء؛ لأنّها من الأسفل إلى الأعلى.

ثالثًا: الفرق بين المطالب والأمني

عرف ابن منظور التمني بقوله: "تَشَهَّى حُصُولِ الْأَمْرِ الْمَرْغُوبِ فِيهِ، وَحَدِيثُ النَّفْسِ بِمَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ"²، وعرفه الكفوي بقوله: "ما يتمناه الإنسان ويشتهي"³، وغالبًا ما يكون هذا التمني في الخير؛ أي: عندما يتمنى الإنسان فيكون في حالة اطمئنان، فلا يتوقع مكروهًا من أمنيته⁴، وقد يكون التمني بشيء مستحيل أي بعيد المنال⁵.

يتبيّن ممّا سبق أنّ المطالب والأمني متقاربين في المعنى كون كلاّ منهما يدلّان على محاولة حصول الشيء المبتغى أو تحقيقه، إلا أنّ المطالب يكون للأشياء الممكن تحقيقها ووقوعها، أمّا الأمني فقد تكون للأشياء المستحيلة، فالشخص يتمنى أمرًا ما، لكنّه يعلم بقرارة نفسه أنّه صعب المنال.

¹ يُنظر: الفاروقي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (2/ 1137).

² ابن منظور، لسان العرب، (29415/).

³ الكفوي، الكلّيات، (187).

⁴ يُنظر: رينهارت بيتر آن دُوزي، تكملة المعاجم العربية، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (ط1)، 1979--2000م، (1/191).

⁵ يُنظر: مختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، (21313/).

المطلب الثاني: مدى تحقق مطالب أهل النار

إنَّ المتأمل لمطالب أهل النار، والرد عليها في القرآن الكريم يجد أنَّها مجرد أمانى لم تتحقق كون تحقيقها مستحيلاً، لكنها بالنسبة لهم ليست مستحيلة، كيف لا، وهم يدركون بقرارة أنفسهم أنَّ ربهم الذي بقدرته عذبهم، وردَّهم إلى هذا المآل، قادر على تخفيف العذاب عنهم، أو إخراجهم من هذا العذاب ولو لمدة مؤقتة؛ يقول تعالى حاكياً عنهم: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٧) قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْمُنُوا (المؤمنون: 107-108)، هنا يطلب أهل النار من ربهم أن يخرجهم من النار، ويعاهده إذا عادوا إلى سابق عهدهم من أعمال يكرهها المولى عز وجل فإنَّهم بهذه الحالة يكونون ظالمين، فطلبوا هذا الطلب وهم يطمعون بالاستجابة لمطلبهم هذا، لكن كيف يستجيب الله لمطلبهم وقد حدَّهم في الدنيا من هذا المآل، فأمرهم أن يقعدوا فيها من غير أن يكلموه أو يراجعوه في الأمر¹، وعبر عن قعودهم في النار بالخسوء، كناية عن إذلالهم وتصغيرهم، وطردهم من رحمته، فهذا اللفظ يقال "للكلب إذا طرد"².

وبعد أن لاقوا هذا الرد الصارم لم يقطعوا الأمل، بل خفَّضوا سقف مطالبهم فاكتفوا بطلب الموت ليرتاحوا من هذا العذاب، فهم لا يريدون الحياة لأنَّهم أيقنوا إن بقوا على قيد الحياة فإنَّهم سيمكثون في النار؛ قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَنَادَوْا يَمَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُومُونَ﴾ (الزخرف: 77).

وبهذا يكونوا قد أيسوا من الحياة بدون عذاب، ومن الموت للاستراحة والخلاص منه، ومع ما يلاقونه من شدة العذاب يتشفَّعون عند خزنة جهنم لكي يُخَفَّفَ عنهم العذاب ولو ليوم واحد فقط؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾ (٤٩) قَالُوا أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (غافر: 49-50). فما كان من خزنة جهنم إلا أنَّهم أقاموا الحجة

¹ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (19/77).

² البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (3/376).

عليهم بتذكيرهم بالرسول الذين جاءوهم بالبينات، ثم أخبروهم أنّ الدعاء لا ينفع الآن فهم لا يجترئون أن يدعوا لهم ربّهم أن يخفف عنهم لأنّ مثل هذا الدعاء لا يجاب¹.

ولمّا علموا أنّه لا خلاص لهم من العذاب وجّهوا نداءهم واستغاثتهم لأهل الجنة أن يرسلوا لهم شيئاً من الماء أو الطعام علّه يخفّف ما هم فيه من العذاب والويل؛ قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 50). ففي هذه الآية يخبر تعالى عن ذلّة أهل النار وسؤالهم أهل الجنة من شرابهم وطعامهم، فلن يجيبوهم، وأخبروهم أنّ هذا محرّم عليهم وليس من حقهم².

يتبين مما سبق أن مطالب أهل النار قوبلت بالرفض وعدم الإجابة؛ لأنهم ضيعوا الفرصة التي أعطيت لهم في الحياة الدنيا.

¹ يُنظر: البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، نج: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط1)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، 1418هـ، (5/60).

² يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (3/424).

الفصل الثاني

مطالب أهل النار من الله عز وجل

المبحث الأول: طلب رؤية من كان سببا في إضلالهم وكفرهم

المبحث الثاني: طلب مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار

المبحث الثالث: طلب الخروج من النار

المبحث الرابع: طلب الرجوع إلى الدنيا

الفصل الثاني

مطالب أهل النار من الله عز وجل

بعد أن يصار أهل النار إلى النار، ويلقون فيها ما وعد ربهم حقا من العذاب الأليم والخزي الكبير، الذي وعدوا وأنذروا به في دنياهم، وبعد أن يذوقوا ما في النار من العذاب الشديد الذي تكوى به جباههم وجلودهم، وعدم تحملهم لشدة ما هم فيه من العذاب والأذى الذي يلقونه، فما لهم من حميم ولا شفيع يطاع، عندها يتوجه أهل النار إلى الله بالسؤال أن يخفف عنهم ما هم فيه، فيطلبون من الله تعالى مطالب أربعة؛ ليتخلصوا مما هم فيه. سنتناولها في المباحث الآتية، ولكن قبل ذلك جدير بنا أن نستعرض في هذا الجدول الآيات القرآنية التي من خلالها سنستخلص تلك المطالب.

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	مكية/مدنية	نوع الطلب
1	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرَنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾	فصلت	(29)	مكية	طلب أهل النار رؤية من كان سبباً في إضلالهم وكفرهم
2	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنًا كَبِيرًا﴾	الأحزاب	67 - 68	مدنية	طلب مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار
3	﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾	ص	(61)	مكية	طلب مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار
4	﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ﴾	الأعراف	38	مكية	طلب مضاعفة العذاب على من

تسبب في دخولهم النار				كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِلَهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾
طلب الخروج من النار	مكية	11	غافر	﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾
طلب الخروج من النار	مدنية	37	المائدة	﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾
1. طلب الخروج من النار. 2. طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	44	الشورى	﴿وَمَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾
طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	-27 28	الأنعام	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾
طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	12	السجدة	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾
طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	37	فاطر	﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا

الدنيا				نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿	
طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	102	الشعراء	﴿ فَتَوَّأَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	11
طلب الرجوع إلى الدنيا	مكية	58	الزمر	﴿ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾	12

المبحث الأول

طلب أهل النار رؤية من كان سبباً في إضلالهم وكفرهم

بعد أن يلاقي أهل النار ما وعدهم ربهم حقاً، حينها لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا حياةً ولا نشوراً، فيطلبون من الله تعالى أن يريهم من كان سبباً في إضلالهم، ومن كان له السبب فيما هم فيه من العذاب والخزي يومئذ؛ فيرسم لنا القرآن الكريم مشهد هذا المطلب من خلال قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: 29)، ثم إن الشياطين على ضربين من الإغواء والضلال "إنسي وجني"¹، ومصدق ذلك، قوله تعالى: ﴿الَّذِي يُوسَّوْسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (الناس: 1-6)، ومنه قوله أيضاً: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنَّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (الأنعام: 112).

ففي هذا الطلب نلمح صورة العذاب الذي يعايشه أهل النار نتيجة ما كانوا يجهلون من أخبار الغيب والبعث، وهم في غيظ شديد على من تسبب في غوايتهم وضلالتهم فيعظم غيظهم²، فلا يمتلك هؤلاء القوم إلا أن يتضرعوا إلى خالقهم بعد أن يذوقوا من هذه النار، التي لا يخبو سعيها ولا يخمد لهيبها، فيتوجهوا إلى الله بالسؤال أن يريهم من كان سبباً في دخولهم النار من أصحاب السوء والفحشاء من (الجن والإنس)، الذين كان لهم الأثر في حملهم على الكفر، ومجانبة الحق الذي أوجب عليهم العقاب الشديد³، وفي هذا "كناية عن إرادة الانتقام منهم"⁴.

¹ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3)، 1407هـ، (4/198).

² يُنظر: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت: 542هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1422هـ، (5/14).

³ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (27/559).

⁴ ابن عاشور، التحرير والتنوير، (24/280).

فيطلب أهل النار من الله تعالى أن يكون هؤلاء المجرمون المتسببون لهم بدخول النار تحت أقدامهم؛ وذلك لأن أبواب جهنم تكون يومئذ بعضها أسفل من بعض¹، وكلما كانوا في الأسفل كان عذابهم أشد وأغلظ؛ لذا توجهوا إلى الله أن يجعل الذين كانوا يأمرون الناس بالمنكر في أشد العذاب من النار². والجعل تحت الأقدام في الآية: من الوطاء؛ وذلك لأن الوطاء بالأرجل من كفيات الانتقام والامتهان³، "فإذا قرن أحدهم بمن أضله في العذاب، كان أشد لعذابه، فإن المكان المتسع، يضيق على المتباغضين، فكيف باقترانهما في المكان الضيق"⁴.

"إنه الحق العنيف، والتحرق على الانتقام: (جَعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا)، (لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ)، وذلك بعد المادة والمخادنة والوسوسة والتزيين"⁵، وغايتهم من ذلك أن يتشفوا بهم جزاءً بما كانوا يزينون لهم⁶.

فصورة هؤلاء الأسفلين: بأنهم أشد حقارة من حقارة هؤلاء الذين كفروا؛ أي: ليكونوا أحقر منا جزاء لهم، فالسفالة مستعارة للإهانة والحقارة⁷، في أبلغ درجات الذلة والمهانة.

فيذيقهم الله تعالى بعدها عذاباً ضعفاً للعذاب الأول بما كانوا يفعلون في دنياهم بالتسويل والتزيين، فيذيقهم الله من الضلال والخزي، فيعذب قادتهم أضعافاً مضاعفة من العذاب، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمُونَ﴾ (الأعراف: 38)؛ أي: إنه تبارك وتعالى قد

¹ ومما يؤكد على أن النار دركات بعضها تحت بعض، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ فِي الذِّكْرِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، (النساء: ١٤٥).

² يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (463/21).

³ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (280/24).

⁴ ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (795)، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، نج: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، (ط2)، 1988م، (134).

⁵ قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (ط17)، 1412هـ، (3120/5).

⁶ يُنظر: المنصوري، مصطفى الحصن، المقتطف من عيون التفسير، نج: محمد علي الصابوني، الدار الشامية، بيروت، (ط2)، 1996م، (510/4).

⁷ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (281/24).

أعطى كلا منهم ما يستحقه من العذاب والنكال، بحسب عمله وإفساده، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل: 88)¹.

ويستخلص مما سبق أنه بعد مقارعات شديدة وعذاب شديد يلحق بأهل النار يوم القيامة، وانقطاع دعواتهم ورجائهم من الله العلي الكبير، وندمهم وأسفهم على ما أحدثوه في دنياهم تلك من اقترافهم لهذه الجرائم التي تسببت في دخولهم جهنم، حينها يطلبون من الله تعالى أن يريهم من كانوا سبباً في إهلاكهم وعذابهم حتى يكونوا تحت أقدامهم أذلين صاغرين.

فهذه الآية الكريمة ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (فصلت: 29)، ترسم لنا حجم الحقد، الذي يحمله أهل النار على دعاة الفسق والفجور الذين حالوا بينهم وبين جنة الله، طالبين من الله أن ينتقموا لأنفسهم من خلال إنزالهم في دركات جهنم أكثر وأكثر، وكلما كان النزول أشد كان العذاب أكبر وأعظم.

¹ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (175/7).

المبحث الثاني

طلب أهل النار مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار

بينما أهل النار يتقارعون في نارهم ويتقلبون بها ذات اليمين وذات الشمال، ويستغيثون ربهم بأن يخفف عنهم مما هم فيه من العذاب، وهم في حسرة على ما فاتهم في دنياهم من الأعمال الصالحة التي تتجيبهم مما هم فيه، حينها لا ينفعهم شيء، فلا يملكون إلا أن يسألوا الله تعالى من فضله، ولكن الله تعالى لا يجيب مطلبهم الذي يكون مقصده التخفيف والفرار من العذاب، فحينها يئأس هؤلاء فيسألون الله تعالى أن يريهم الذين تسببوا في دخولهم النار؛ طالبين من الله أن يضاعف العذاب على من كان سبباً في إغوائهم، كما يظهر من خلال قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾ (٦٧) رَبَّنَا آتِنَاهُمْ لِمَنْ ضَعُفَيْنَا مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعَنَّا كَبِيرًا ﴿﴾ (الأحزاب: 67-68)، وقوله تعالى أيضاً: ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ (ص: 61). ففي هذه الآيات، يخبر الله تعالى عن مطلب آخر من مطالب أهل النار يوم القيامة وهو أن يلحق الله تعالى بهؤلاء الذين كانوا يزينون لهم المغريات من المعاصي والآثام عذاباً فوق عذابهم.

وليس هذا فحسب، بل يزداد الأمر سوءاً إذ أن أهل النار يلعن بعضهم بعضاً ولا سيما من كان سبباً في غوايتهم وكفرهم وصددهم عن دين الله، كما تدل على ذلك الآية الكريمة: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا آدَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ (الأعراف: 38).

ومع نفاد قوة أهل النار وعدم امتلاكهم لأي أداة أو طريقة من شأنها أن تُخلصهم من هذا العناء الذي يتكبّدونه، فلا ينفعهم حسب ولا نسب، ولا يغني عنهم مال ولا ولد، فإنهم يتحسرون

على ما أصابهم بسبب نفورهم وإجفافهم عن الله بقولهم: إنا أطعنا القادة والأمراء والأشراف والعلماء بدل طاعة الله تعالى، فبدّلنا الخير بالشر، وأضلونا عن السبيل الصحيح وهو توحيد الله تعالى¹.

ونلمح تصدير الدعاء بالنداء، (ربنا) مكرراً؛ ليكون أدعى في الإجابة²، فلما كان المشهد يرسم صورة الندم والحسرة والتشفي، ففي مطلبهم هذا تأكيد للضراعة والابتهال، وتمهيد لقبول سؤلهم طامعين في التخلص من العذاب، حتى إذا ما قبل سؤلهم طمعوا في التخلص من العذاب، وإلقائه على من تسبب في دخولهم النار³.

وهنا تبدو روح الانتقام ظاهرة في طلب مضاعفة العذاب على من تسبب في دخولهم النار، إنما هي "على سبيل التشفي والانتقام بمضاعفة العذاب على أولئك المضللين: عذاب الكفر وعذاب الإضلال؛ أي عذبهم مثلي ما تعذبنا فإنهم ضلّوا وأضلوا، بل إنهم يطلبون أيضاً إبعادهم وطردهم من رحمة الله، وذلك من خلال لعنهم؛ أي: إبعادا كبيرا كثيرا لأن ما كبر كان كثيرا عظيم المقدار، وهذا في كلا الطلبين يتضمن معنى جديداً، فإنهم طلبوا لهم ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب بقولهم: ضِعْفَيْنِ وزيادة اللعن بقولهم: (لَعَنَّا كَيْراً)⁴؛ أي: "لعناً على إثر لعن"⁵.

ولعل سبب هذا اللعن والعذاب الذي يحيق بهؤلاء يعود إلى دعوة الناس إلى الفواحش التي توعدها الله أصحابها بالعذاب "للضلال والإضلال"⁶، "فلا يملكون إلا أن تتطلق من نفوسهم النعمة على سادتهم وكبرائهم، الذين أضلوهم عن الصراط"⁷، ربنا إنا أطعنا أئمتنا الذين أضلونا عن الهدى وطريق الحق الذي جاء به الأنبياء من قبل فما كان من هؤلاء إلا أن أضلونا عن شريعتك فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والإيمان بك والإقرار بوحدانيتك وإخلاص طاعتك في الدنيا، فآتهم

¹ يُنظر: العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تفسير القرآن، تح: د. عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، 1996م، (591/2).

² يُنظر: أبو السعود العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (117/7).

³ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (118/22).

⁴ يُنظر: الزحيلي، وهبه بن مصطفى، التفسير المنير، دار الفكر المعاصر، بيروت، (ط2)، 1418هـ، (119/22).

⁵ العز بن عبد السلام، تفسير العز بن عبد السلام، (591/2).

⁶ التنفسي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، (ط1)، 1998م، (47/3).

⁷ قطب، في ظلال القرآن، (2883/5).

يا الله (ضَعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ)؛ أي: عذبهم من العذاب مثلي عذابنا الذي تعذبنا (وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا)¹؛ أي: عذاباً أليماً بما كانوا يأمرونا من المنكرات والمعاصي.

وجاءت فاصلة الآية بقوله (كبيراً)؛ إشارة إلى أن ما كبر كان كثيراً عظيم المقدار²، فتكون صورة العذاب عذاباً كبيراً طويلاً.

ولعل غاية هذا الطلب الذي يرفعه أهل النار بمضاعفة العذاب على من كان سبباً في إغوائهم هو التخفيف من عذابهم، ومضاعفته على من تسبب في دخولهم النار؛ أي: عذبهم وارفع عنا شيئاً من العذاب³، طانين بذلك أن يحصل لهم بعض التسلي والتفرج⁴.

ومما تقدم يتبين لنا حجم الوبال الذي يلحق بأهل النار يوم القيامة، فحينها لا يملكون لأنفسهم ضرراً ولا نفعاً، ولا حياة ولا نشوراً، فيطلبون من الله بأن يلحق بكبرائهم وساداتهم الذين أضلّوهم ضعفاً من العذاب، وليس هذا فحسب بل يطلبون من الخالق جل جلاله كذلك بأن يبعدهم كل البعد عن رحمته التي وسعت كل شيء بدليل قولهم: (وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا).

وفيه إشارة إلى ضرورة التحذير من الانجرار وراء المعاصي خلف أذغواء الشهوات الذين يُشيعون الفاحشة في كل مكان، ونشر الشهوات والشبهات في الصف المسلم بشكل خاص، داعين من وراء ذلك إلى الإلحاد والتشكيك بالثوابت الشرعية من خلال تناقلها عبر شبكات الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي.

¹ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (331/20)، البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (666/3)، السمرقندي، بحر العلوم، (75/3).

² يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (250/14).

³ يُنظر: السمرقندي، بحر العلوم، (75/3).

⁴ يُنظر: الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2005م، (418/8).

المبحث الثالث

طلب الخروج من النار

لقد أطنب القرآن الكريم في تبيان جرائم الخالدين في النار، وأعظم هذه الجرائم الكفر والشرك بالله، وما أن يدخل أهل النار فيها ويرون العذاب، فيشرعون في الاستغاثة وطلب الخروج من النار، وهم غير قادرين على المكوث فيها ولا للحظة واحدة؛ لشدة الالهيبة الذي يجدونه، حينها يطلب أهل النار من الله تبارك وتعالى أن يخرجوا منها، قال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11)، يلاحظ هنا أن الكفار يقدمون بمقدمة إلى الله قبل طلبهم الخروج من النار يعترفون فيها بقدرته تعالى، مستهلين فيها قولهم (ربنا)؛ أي: "أيها المحسن إلينا بما تقدم في دار الدنيا"¹.

ويرسم القرآن الكريم مشهداً آخرًا من مشاهد الخروج وعجزهم عن تحقيق ذلك، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (المائدة: 37)، ولعل الباعث من وراء هذا الطلب ما يكابده أهل النار من شدة لهيبها، وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تَوَضَّعَ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةً، يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ"².

وبعد ما يلحق بهم من العذاب والخزي الكبير لا يسعهم إلا أن يسألوا ربهم أن يخرجهم منها.

¹ البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (18/17).

² البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، (ط1)، (د. ت)، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم (6561)، (115/8).

وقد اختلف في الإحياءين والإماتتين على قولين عند العلماء¹:

القول الأول: انهم كانوا عدماً قبل تحقق حياتهم، وهم أجنة في بطون أمهاتهم، فعندما تحققت حياتهم على الأرض، ثم أماتهم الله بعد حياتهم في الدنيا، ثم يبعثهم الله بعد ذلك إلى يوم القيامة حياة ثانية، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس وابن مسعود ومن التابعين قتادة رضي الله عنهم، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: 28).

وأما القول الثاني: أنهم أميتوا في الدنيا ثم أحيوا في قبورهم فخطبوا، ثم أميتوا ثم أحيوا يوم القيامة، وهذا ما ذهب إليه السدي وابن زيد.

وقد ذكر الماوردي قولاً ثالثاً وهو: أن الله أحياهم حين أخذ عليهم الميثاق في ظهر آدم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف: 172)، ثم إن الله أماتهم بعد أخذ الميثاق عليهم، ثم أحياهم حين أخرجهم، ثم أماتهم عند انقضاء آجالهم، ثم أحياهم للبعث فتكون حياتان وموتتان في الدنيا وحياة في الآخرة².

وأقرب هذه الأقوال وأكثرها صحة قول ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما ومن تابعهما من جمهور المفسرين، لأنه يلزم من القول الثاني والثالث ثلاثة إحياءات وإماتات وهو قول ضعيف.

وأما عن مطلبهم الذي يرفعونه إلى رب العزة ذاكرين عظمته وجلال قدرته في الخلق والإماتة، يطلبون منه الرجعة وهم في عرصات يوم القيامة، كما قال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرُومَاتِ نَاصِسُوا زُفُوفِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا نَاصِسُونَ﴾

¹ يُنظر: الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، 1988م، (4/ 368)، الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (9/ 10)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (3/ 202)، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (7/ 113).

² الماوردي، النكت والعيون، (5 / 146).

مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 12)، فلا يجابون، ثم إذا رأوا النار وعابنوها ووقفوا عليها، ونظروا إلى ما فيها من العذاب والنكال، سألوا الرجعة أشد مما سألوا أول مرة، فلا يجابون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: 27-28)، فإذا دخلوا النار وذاقوا مسها وحسبها ومقامها وأغلالها، كان سؤالهم للرجعة أشد وأعظم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر: 37)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (الأنعام: 38)، قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُون﴾ (المؤمنون: 107-108).

وفي آية الإحياء والإماتة نجدهم يتلطفون في السؤال، ويقدمون في بداية طلبهم، (رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ)؛ أي: قدرتك عظيمة، فإنك أحيتتنا بعدما كنا أمواتا، ثم أمتنا ثم أحيتتنا، فأنت قادر على ما تشاء، وقد اعترفنا بذنوبنا، وإننا كنا ظالمين لأنفسنا في الدار الدنيا، (فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ)؛ أي فهل أنت مجيبنا إلى أن تعيدنا إلى الدار الدنيا؟ فإنك قادر على ذلك؛ لنعمل غير الذي كنا نعمل، فإن عدنا إلى ما كنا فيه فإننا ظالمون، فأجيبوا ألا سبيل إلى عودكم ومرجعكم إلى الدار الدنيا، ثم علل المنع من ذلك بأن سجاياكم لا تقبل الحق ولا تقتضيه بل تجرده وتنفيه؛ ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: 12)؛ أي: أنتم هكذا تكونون، وإن رددتم إلى الدنيا، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: 28)¹.

وأما قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11)، فإن الله تعالى في هذه الآية يُصور ذل وحسرة أهل النار بعد استغاثات كثيرة واصطراخات عديدة منهم يوم القيامة.

¹ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (133/7).

وجاءت فاصلة هذه الآية باستفهام إنكاري، يحتمل وجهين: أولاً: طلب الرجوع إلى الدنيا حتى يتسنى لنا الإقرار بما كنا نكذبه؛ أي البعث، ثانياً: هل من عمل ما ينجينا مما نحن فيه من هذا العذاب¹، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ (الشورى: 44).

ومع إنكارهم للبعث وكفرهم به جعلهم يوغلون في ذنوبهم ومعاصيهم واجترأهم على الله؛ لأنه من لم يخش العاقبة لا يكثر من كثرة الذنوب، فلما عاينوا الإحياء والإماتة التي أنكروها في دنياهم تلك، فيكون حالهم الندم الشديد على ما أحدثوه من إنكارهم ليوم البعث، فكون طلبهم الخروج من النار يصحبه اليأس والقنوط، ويقولون ذلك تعللاً وتحيراً²؛ راجين من هذا الرجوع بعد الذي كانوا عليه من الكفر والفساد؛ لكي يتزودوا من الأعمال الصالحات ليتداركوا ما فاتهم من العمل المنجي، ولكن هيهات هيهات لما يتمنون، لأن هذا جاء بعد فوات الأوان³.

ويُلاحظ مما سبق المحاولات البائسة التي يحاول فعلها أهل النار، من طلب الخروج ومحاولته، وبيان محاولة الوصول إلى مشارف الخروج الذي يُخِيل إليهم وما هم بخارجين، بل ويجاب بعدها بعبارات أشد وأغلظ، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَعَرَّكْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ (الجن: 35)؛ أي: أنه لا مجال للخروج والرجعة أبداً.

¹ يُنظر: الماوردي، النكت والعيون، (146/5).

² يُنظر: الزمخشري، الكشاف، (154/4).

³ طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر، القاهرة، (ط1)، 1997م، (267/12).

المبحث الرابع

طلب الرجوع إلى الدنيا

عندما يدخل أهل النار النار يوم القيامة، ويرون ما كانوا به يكذبون، حينها سيندمون أشد الندم، ويتمنون على الله تعالى أن يعودوا إلى دنياهم؛ حتى يعملوا من الأعمال الصالحة التي تتجنبهم من هذا العذاب الأليم، وفي هذه الآيات يبين الله تعالى طلباً آخر من مطالب أهل النار؛ عند عدم قدرتهم على تحمل العذاب، فحينها يعلو صراخهم ويشتد عويلهم، ويدعون ربهم بأن يرجعهم إلى الدنيا حتى يتزودوا من الأعمال الصالحات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْتَذِيرُ فَذُقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (فاطر: 37)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 12)، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: 27-28).

ففي هذا المشهد العظيم الذي أخبر عنه القرآن الكريم يظهر حجم التمني والألم الذي يكابده أهل النار يوم القيامة، لقوله: (وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا)؛ ولعل هذا ناتج عن شدة العذاب الذي يلحق بهم، فإن نار الدنيا ليست كنار الآخرة، كما في الحديث الصحيح: "تَارَكُمُ جُزْءٌ مِّنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِّنْ نَّارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"¹.

فلا يستطيع هؤلاء أن يتحملوا شدة ما سيلقونه من هذا العذاب الذي يبعث على الصراخ والعويل والندم، بصوت غليظ محشرج مختلط الأصداء، متناوح من شتى الأرجاء²، ولكن هيهات هيهات لما يوعدون، فلا يجدون من يشفع لهم عند الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ﴾ (٣٠)

¹ البخاري، الجامع الصحيح المسند المختصر، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (3265)، (121/4).

² يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (2945/5).

وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿الشعراء: 100-102﴾، فليس لهم من الله معين وليس لهم من الله من مفر، كلا إنها كلمة هو قائلها.

وأما عن حالهم كما وصفته الآية الكريمة: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا رَبِّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (فاطر: 37) من طلب الرجوع إلى الدنيا وهم يصطرخون ويستغيثون ربهم؛ ربنا أخرجنا نعمل صالحاً مغايراً لما كنا نعمله من الشرك والمعاصي، فنجعل الإيمان منا بدل ما كنا عليه من الكفر، والطاعة بدل المعصية، ونؤمن بك ونتوكل عليك، نادمين ومتحسرين على ما عملناه في دنيانا من السيئات، مع الاعتراف منهم بأن أعمالهم في الدنيا كانت على غير النحو الذي أمر الله به، فيأتي الرد القرآني عليهم بقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ الْتَذِيرُ﴾ (فاطر: 37)، والاستقهام في هذه الآية: للتقريع والتوبيخ؛ أي: أو لم نعمركم عمراً يتمكن من التذكر فيه من تذكر، وجاءكم النذير¹.

وجاء التعبير بلفظ الاصطراخ في بيان جملة الطلب دالاً على ظنهم أنه من خلال رفع أصواتهم هو أقرب إلى علم الله بندائهم؛ ولإظهار عدم إطاقه مما نابهم من العذاب²، كناية عن شدة الاستغاثة التي يلجأ إليها أهل النار.

فهذه الآيات توضح لنا حجم التمني الكبير الذي يرفعه أهل النار إلى الله وإلحاحهم بالطلب للرجوع إلى الدنيا، وهم في غاية الذل والحياء والندم على ما أحدثوه، فيقولون: ربنا أبصرنا ما كنا نكذب به، وسمعنا ما كانت تبلغه رسلك، فارجعنا نعمل صالحاً، لنؤمن بك ونطيعك، ولو أنهم ردوا إلى دنياهم لعادوا لما نهوا عنه، ولو شاء الله أن يعطي كل نفس ما تريد من اللطف الذي يتمنونه من الله لاهتدوا، لكن الله تعالى علم حالهم بعد الخروج، ما سيصنعون من اختيار الكفر وإيثاره³.

ثم إن هؤلاء الكفار لم يعلموا أن العودة إلى الدنيا بعيدة المحال، وعلى هذا قالوا: "(نَعْمَلْ صَالِحًا) جازمين من غير استعانة بالله، ولا مثبوتة فيه، ولم يقولوا إن الأمر بيد الله، فجاء الخطاب

¹ الشوكاني، فتح القدير، (406/4).

² يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (318/22).

³ يُنظر: حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، (ط6)، 1424هـ، (4384/8).

القرآني: إذا كان اعتمادكم على أنفسكم فقد عمرناكم مقدار يمكن التذكر فيه والإتيان بالإيمان والإقبال على الأعمال الصالحة، وأما قولهم: (غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) ففيه إشارة إلى ظهور فساد عملهم لهم، وكأن الله تعالى كما لم يهدم في الدنيا لم يهدم في الآخرة، فما قالوا ربنا زدنا للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج إلى تخفيف العذاب منهم إلى تضعيف الثواب فافعل بنا ما أنت أهله نظراً إلى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظراً إلى عدلك وانظر إلى مغفرتك الهائلة ولا تنظر إلى معذرتنا الباطلة¹، آملين من هذا الرجوع أن يكونوا على درجة عالية من الإيمان والعمل الصالح، بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 102)، ولكن لا ينفعهم ذلك.

وهذا المشهد القرآني في طلب الرجوع إلى الدنيا وبيان أنه أمر لا مجال منه يصف حالهم بعد أن "نكست رؤوسهم ذلة وخزيا، وخضعت أعناقهم همًا وغمًا، يضرعون إلى الله أن يردوا إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، ليصلحوا ما أفسدوا، وليستقيموا على طريق الحق والهدى، بعد أن أبصروا من عمى، وسمعوا من صمم، وشهدوا الحق الذي أنكروه، وعاینوا البعث الذي كفروا به، وأيقنوا أنهم كانوا في ضلال مبين"².

ولشدة ما هم فيه من العذاب والأهوال التي تنتزل عليهم تترا، لا يقبل الله تبارك وتعالى منهم شيئاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلٌّ أَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوْ أَقْدَى بِهِ﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿ (آل عمران: 91)، فكل هذا الصراخ والعيول الذي يخرج من أهل النار لا ينفعهم شيئاً بدليل الآية الكريمة، وذلك لأن الله تبارك وتعالى أمدهم من العمر والفسحة من الوقت، كي ينظروا في حقائق المقصد الذي وجدوا من أجله، ولو أن الله تعالى كتب على هؤلاء الرجوع إلى الدنيا على نحو ما طلبوا ما زادهم ذلك إلا نفورا.

¹ الرازي، مفاتيح الغيب، (243/26).

² الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، (615/11).

قال ابن عباس في التعقيب على سوء منقلب أهل النار: أي "لعادوا إلى ما نهوا عنه من الشرك، وإنهم لكاذبون في قولهم: ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين"¹. ففي هذه الآية كذبهم الله في إخبارهم عن أنفسهم بأنهم إن ردوا إلى دنياهم فإنهم سيؤمنون به، ولم يكذبهم في التمني²، وصورتهم هنا تخالف صورتهم التي كانوا عليها في الدنيا يجادلون ويخاصمون، فهم الآن يدعون على أنفسهم بالهلاك، لقد أيقنوا وقوع ما كانوا يكذبون به، ورأوا أمامهم حقيقة الحساب، وصدق وعد الله³.

فيأتي الخطاب بعدها بقوله: (فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ) ففيه إشارة إلى ديمومة العذاب والخزي والإهانة، فما لهؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وانخرطوا وراء كل معصية، ووضعوا أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها وأتوا بالمعذرة في غير وقتها من نصير في وقت الحاجة ينصرهم⁴، وينقذهم من هذا المأزق العظيم، وفيه "جواب من الله وتوبيخ لهم وما يَتَذَكَّرُ فيه متناول كل عمر يمكن المكلف فيه من التفكير والتذكر"⁵.

وفي هذه الآية: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ أَوَّلَ نَعْمَرَكُمَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ التَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿إِضْمَارُ الْقَوْلِ وَتَقْيِيدُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ بِالْوَصْفِ الْمَذْكُورِ لِلتَّحَسُّرِ عَلَى مَا عَمِلُوهُ مِنْ غَيْرِ الصَّالِحِ وَالْاعْتِرَافِ بِهِ، وَالْإِشْعَارِ بِأَنْ اسْتَخْرَجَهُمْ لِتَلَاْفِيهِ وَأَنْهُمْ كَانُوا يَحْسِبُونَ أَنَّهُ صَالِحٌ وَالْآنَ تَحَقَّقَ لَهُمْ خِلَافُهُ﴾⁶.

وتظهر فائدة زيادة (غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) على أنه يؤذن أنهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه: زيادة في التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به، وأما

¹ ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (21/2)

² يُنْظَرُ: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (21/2).

³ يُنْظَرُ: الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسة والترجمة والنشر، حلب، (ط1) 2001م، (329).

⁴ يُنْظَرُ: الرازي، مفاتيح الغيب، (243/26).

⁵ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (260/4).

⁶ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (260 /4).

الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي، ولأنهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: 104)، فقالوا: أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم) توبيخ من الله لهم¹.

ويستخلص مما سبق حجم الأمانى العظيمة التي يتمناها أهل النار من خروج ورجوع، ولكن لعلم الله المسبق بما كان وما سيكون فإنه لا يُمهّل هؤلاء الكفرة مرة ثانية؛ لعلمه بهم أنه لو ردهم إلى دنياهم لرجعوا إلى ما كانوا يفعلونه، بعد إبصارهم معالم الحق وطريق الضلال، وبيان الجنة والنار التي كانوا يكذبونها، ليصلحوا ما أفسدوه في دنياهم، قال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الزمر: 58).

¹ الزمخشري، الكشاف، (3/ 616).

الفصل الثالث

مطالب أهل النار من خزنة جهنم

المبحث الأول: طلب التخفيف من عذاب النار

المبحث الثاني: طلب الموت للخلاص من عذاب النار

الفصل الثالث

مطالب أهل النار من خزنة جهنم

بعد أن سيق أهل النار إلى جهنم كالقطيع مقرنين بالأصفاد والأغلال في أعناقهم، ووقفوا عليها، وعابوهم وهم جاثون على الركب، ينتظرون ولا يُعرف من يُنترَع من مشهد الجاثين؛ ليصبح من المحترقين، فهذا المشهد يصور لنا العذاب النفسي قبل العذاب الحسي الجسدي، ويُلاحظ من هذا المشهد صورة الذل والمهانة والاحتقار، وقد بدا على وجوه الخزي والهوان، قال تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِأَسْرَةٍ ۖ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (القيامة: 24-25)، حينها تبدو الأبصار خاشعة من شدة الهول والكرب والفرع، وما أن يلقوا في النار حتى يشرعوا بالاستغاثة من الله والملائكة عسى الله أن ينجيهم أو يخفف عنهم من العذاب متعدد الأنواع والأشكال.

ثم إن مطالب أهل النار لا تنحصر في سؤال واستغاثة الرب جل جلاله، بل تتعدى إلى لون آخر؛ وذلك من خلال استجداد الخزنة الموكلين على النار بطلب القضاء عليهم بعد أن يأسوا من طلب الخروج من النار، والرجوع إلى الدنيا.

والخزنة هنا جمع خازن، وهم الملائكة القائمون على تيسير محتويات دار العذاب وأهلها، فالخازن لا يتعلق بالنار بل بما يحويها¹.

أما هؤلاء الخزنة فقد بين الله تعالى بعض التفاصيل المتعلقة بأحوالهم في القرآن الكريم، ومن ذلك:

■ **عددهم:** فقد بين الله تعالى عدد هؤلاء الخزنة الذين يُشرفون على النار يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۚ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ۚ لَوَاحٌ لِلْبَشَرِ ۚ عَلَيْهَا سِتْعَةُ عَشَرٍ ۚ﴾ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي

¹ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (7/ 149)، الشوكاني، فتح القدير، (4/ 568)، ابن عاشور، التحرير والتنوير (163/ 24).

قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ¹
وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ﴿المدثر: 27-30﴾، ففي هذه الآيات
يخبر الله تعالى عن الحكمة من جعل عدة الملائكة الموكلين على النار تسعة عشر، حيث
إنه سبحانه وتعالى ذكر في الآية خمس حكم، وهي¹:

1. فتنة الكافرين؛ فيكون ذلك زيادة في كفرهم وضلالهم.
2. قوة يقين أهل الكتاب؛ فيقوى يقينهم بموافقة الخبر بذلك لما عندهم عن أنبيائهم من غير
تلق من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقوم الحجة على معاندتهم، وينقاد للإيمان من
يريد الله أن يهديه.

3. زيادة الذين آمنوا بكمال تصديقهم بذلك والإقرار به.

4. انتفاء الريب عن أهل الكتاب لجزمهم بذلك، وعن المؤمنين لكمال تصديقهم به.

5. حيرة الكافر ومن في قلبه مرض، وعمى قلبه عن المراد بذلك، قال تعالى: ﴿مَاذَا أَرَادَ
اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ (البقرة: 26).

"وهذا حال القلوب عند ورود الحق المنزل عليها: قلب يفتن به كفراً وجحوداً، وقلب يزداد
به إيماناً وتصديقاً، وقلب يتيقنه، فتقوم عليه به الحجة، وقلب يوجب له حيرة وعمى، فلا يدري ما
يراد به"².

■ أسماؤهم، فقد ذكر القرآن الكريم خزنة جهنم بشكل عام، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ
إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ (المدثر: 31)؛ فالمراد بأصحاب النار هنا في هذه الآية هم الخزنة الموكلين
بالنار، بخلاف المواضع الأخرى التي يُقصد بها أهل النار أنفسهم³، وورد اسم مالك بشكل

¹ يُنظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة
المعارف، (د.ط)، (د.ت)، (14/1).

² ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، (14/1).

³ يُنظر: الكفوي، الكليات، (112).

خاص، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾ (الزخرف: 77)، وفي أحاديث أخرى¹.

■ صفاتهم، فقد وصفهم الله تبارك وتعالى بالغلظة والشدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحریم: 6)

وفي هذا الفصل سيتطرق الباحث إلى مطالب أهل النار من الخزنة في مبحثين اثنين:

- المبحث الأول: طلب التخفيف من عذاب النار
- المبحث الثاني: طلب الموت للخلاص من عذاب النار

وذلك من خلال الآيات القرآنية التي ورد فيها الحديث عن مطالب أهل النار من الخزنة، وقد ورد في موضعين في القرآن الكريم، كما يظهر في الجدول الآتي:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	مكية/مدنية	نوع الطلب
1	قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ...﴾	غافر	49 - 50	مكية	طلب التخفيف من عذاب النار
2	قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾	الزخرف	77	مكية	طلب الموت للخلاص من عذاب النار

¹ البخاري، الجامع الصحيح المسند المختصر، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: (وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ: إِنَّكُمْ مَكِينُونَ)، حديث رقم (4819)، (6/130). الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (2ط)، 1975م، أبواب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، حديث رقم (2586)، (4/707).

المبحث الأول

طلب التخفيف من عذاب النار

ها هي مطالب أهل النار تتجدد؛ لكنها ليست من الله عز وجل، وإنما ممن وكلهم الله بالإشراف على النار، وهم خزنة جهنم الذين أخبر الله تبارك وتعالى عنهم في كتابه، راجين منهم التخفيف مما هم فيه من العذاب الذي وقع عليهم عقوبةً من الله لهم، بعد انقطاع الأمل من الخروج من النار والعودة إلى الدنيا من أجل التزود من الأعمال الصالحة، ولما تبين لأهل النار أن الله عز وجل لا يستجيب لهم، ولا يستمع لاستغاثاتهم، ولا يسمع دعاءهم، فيشرعوا بالبحث عن طريقة أخرى لينجوا من خلالها.

فها هم يتوجهون إلى خزنة جهنم بطلب أدعى للاستجابة حسب ظنهم وهو التخفيف من وطأة العذاب الذي وقع عليهم، راجين أن يكونوا شفعاء لهم عند الله، **﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ﴾﴾** ^(٤٩) **﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُم رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾** (غافر: 49-50)، فحينها يتوجه من في النار من الأمم الكافرة، بطلب التخفيف عنهم مقدار يوم من أيام الدنيا من العذاب¹، ولكن حال هذه الأمنية كحال غيرها من الأماني.

"فلا مجال للنظر في الحكم، ولا مجال لتغيير فيه أو تعديل، وقد قضي الأمر، وما من أحد من العباد يخفف شيئاً من حكم الله، وحين أدرك هؤلاء وهؤلاء أن لا ملجأ من الله إلا إليه، اتجه هؤلاء وهؤلاء لخزنة جهنم في ذلة تعم الجميع، وفي ضراعة تسوي هؤلاء بهؤلاء: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾**، إنهم يستشفعون حراس جهنم، ليدعوا ربهم، في رجاء يكشف عن شدة البلاء: **﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾**؛ ليلتقطوا فيه أنفاسهم ويستريحوا، فيوم واحد يستحق الشفاعة واللهفة والدعاء، ولكن خزنة جهنم لا يستجيبون لهذه الضراعة البائسة الذليلة الملهوفة، فهم يعرفون الأصول،

¹ يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (4/ 563)، الشوكاني، فتح القدير، (4/ 568).

ويعرفون سنة الله، ويعرفون أن الأوان قد فات، وهم لهذا يزيدون المعذبين عذابا بتأنيبهم وتذكيرهم بسبب هذا العذاب: (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ ... قَالُوا بَلَىٰ)، وفي السؤال وفي جوابه ما يغني عن كل حوار، وعندئذ نفص الخزنة أيديهم منهم، وأسلموهم إلى اليأس مع السخرية والاستهتار: (قَالُوا فَادْعُوا)، إن كان الدعاء يغير من حالكم شيئا، فتولوا أنتم الدعاء، وتعقب الآية قبل تمامها على هذا الدعاء: (وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)، لا يبلغ ولا يصل ولا ينتهي إلى جواب، إنما هو الإهمال والازدراء للكبراء والضعفاء سواء¹.

لقد استغاث أهل النار بخزنة جهنم استغاثة اعتراها اليأس، لما هم فيه من الغم الشديد، والعذاب الغليظ، مع علمهم أن لا مناص لهم، ولا محيص، ولا خلاص لهم من عذاب النار.

ومما يلاحظ من طلب التخفيف يوما من العذاب في الآية "أَنَّ (مِنَ الْعَذَابِ) هو المفعول ل (يُخَفَّفُ)، و (مِنَ) تبعيضية، و (يوما) ظرف، سألوا أن يخفف عنهم بعض العذاب لا كله في يوم ما، لا في كل يوم ولا في يوم معين²، وهمهم في هذا الطلب التخفيف من وطأة العذاب دون الالتزام بيوم معين ولا في كل يوم.

ومما يؤكد على ذلك أن مادة (اليوم) في الآية يراد بها القلة³ لما يصاحبه من شدة البلاء، وفظاعة العذاب، حيث يتضرعون إلى الله أن يخفف عنهم ولو زمنا قليلا.

ومن الظواهر البلاغية التي جاءت بها الآية: ذكر الله خزنة جهنم وليس خزنة النار أو خزنتها، وفي هذا عدل للإظهار في موضع الإضمار، حيث إن الأصل في الأسماء أن تكون ظاهرة وأصل المحدث عنه كذلك، والأصل أنه إذا ذكر ثانيا أن يذكر مضمرا للاستغناء عنه بالظاهر السابق ... وللخروج على خلاف الأصل أسباب، منها: أن يكون القصد تربية المهابة وإدخال الروعة في ضمير السامع بذكر الاسم المقتضي لذلك كما يقول الخليفة لمن يأمره بأمر أمير المؤمنين يأمر بكذا مكان أنا آمر بكذا، ومنه قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا

¹ قطب، في ظلال القرآن، (3085/5).

² السمين الحلبي، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، (9/ 491).

³ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (24/ 163).

الْحَاقَّةُ ﴿الْحَاقَّةُ: 1-2﴾، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾، ولم يقل لخزنتها¹ وفي ذلك وجهان²:

الأول: أن يكون من ذلك إبراز التهويل والتفطيع.

الثاني: أن يكون جهنم اسم موضع خاص وهو أبعد النار قعرًا، وفيه أعظم أصناف الكفار عقوبة، وخزنة ذلك الموضع أعظم خزنة عند الله درجة، وما التجأ أهل النار لهذا القسم من الخزنة إلا لعظيم قدرهم وشأنهم عند الله تعالى.

وبذلك يكون دعاء الخزنة أرجى بحسب ظن أهل النار؛ فسألوهم التخفيف يوما من العذاب أنفع لهم من تخفيف قوة النار³.

كما أننا نلمح من إضافة ضمير المخاطبين إلى (رب)، ضرب من الإغراء بالدعاء، فهم يظنون بمطلبهم هذا أن دعاء مالك لهم أقرب وأرجى أن يستجاب، وجاء الفعل (يخفف) مجزومًا بعد الأمر بالدعاء مما يجعل تحقق مطلبهم جزمًا، ومعنى هذا أن أهل النار واثقون بأن خزنة جهنم إذا دعوا الله استجاب لهم⁴.

فيأتي الرد عليهم من خزنة جهنم بطريق الاستفهام التقريري لقوله: (قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ)؛ ويراد به تذكيرهم بماضيهم، وتنديمهم، وإظهار سوء ما كسبوا، إذ لم يتبعوا الرسل حتى وقعوا في العذاب، والرد بهذا الأسلوب جامع يتضمن التوبيخ، والتنديم، والتحسير، وبيان سبب امتناع الدعاء لهم، وتذكيرهم بمخالفتهم الرسل الذين كانوا يندرونهم لقاء يومهم هذا⁵.

¹ يُنظر: الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تح: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، (ط1)، بيروت: دار المعرفة، 1990م، (2/ 484).

² يُنظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1415هـ، (12/ 329).

³ يُنظر: الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (12/ 329).

⁴ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (24/ 163).

⁵ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (24/ 163).

ويستخلص مما سبق: أن هذه المحاولات التي يلجأ إليها أهل النار من طلب التخفيف من العذاب والشفاعة، لا جدوى منها، لذا يزدادون غمًا على غم، فكلما لمسوا منفذًا يحسبون من خلاله أنه هو المفر، كانت عاقبتها كعاقبة ما قبلها من المطالب الأخرى.

المبحث الثاني

طلب الموت للخلاص من عذاب النار

بعد فشلهم الذريع في الطلب من خزنة جهنم من محاولة التخفيف من العذاب، فهاهم يستغيثون بخزنة جهنم من جديد بأن يقضى عليهم؛ ليموتوا؛ لعلهم يتخلصوا من هذا الويال العظيم، ويظهر ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتُونَ﴾ (الزخرف: 77).

فبعد دخولهم النار وعدم قدرتهم على تحمل العذاب الذي يُصبُّ عليهم، يبحث أهل النار عن منفذ آخر بعد فشلهم من طلب التخفيف، مما يجعل أهل النار يلجأون لمالك فيسألونه عسى أن يخلصهم مما هم فيه¹.

وهذا النداء مشبع باصطراخات عظيمة، حيث يُصبح الموت أمنية لهم، وفي هذا المشهد الذي يصفه القرآن الكريم يُلمح منه حجم الويلات الذي ألقى ظله الضيق، والألم المُفزعين على أهل النار، فيلاحظ من خلالها صرخات الاستغاثة التي تصور لنا نفوساً أطار صوابها العذاب، وأجساماً بلغ الألم فيها ما لا تطيق من أثر العذاب، فانبعثت من خلالها الصيحة المريرة: (يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوتُونَ)²؛ أي ليمتتا³، ولنستريح⁴؛ ليتخلصوا مما هم فيه.

ويُلاحظ أن صيغة النداء في الآية الكريمة جاءت بصيغة الماضي، (ونادوا) مع أنه سيقع يوم القيامة، دلالة تحقيق وقوع هذا النداء؛ أي: أنه سيقع حتماً؛ لصدوره عن لا خلاف في خبره⁵، كنحو قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ

¹ يُنظر: أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (8/ 55).

² يُنظر: قطب، سيد، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (ص152). فائز، أحمد، اليوم الآخر في ظلال القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م، (331).

³ يُنظر: ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (64/5).

⁴ يُنظر: السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: 1376هـ)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م، (ص770).

⁵ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (259/25)، بخيت، رجب محمود إبراهيم، تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة والسنة النبوية الصحيحة، دار الإيمان القاهرة، (د.ط)، 2004م، (ص32).

ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٨﴾ (الزمر: 68)، فتحدث عن النفخ بصيغة الماضي رغم عدم وقوعه للدلالة على تحقق الوقوع.

ويلمح من هذا المطلب حالة الألم الشديد والفرع العظيم الذي يعانيه أهل النار الناتج عن العذاب الجسمي، لذلك يتمنى أهل النار بأن تتعطل حواسهم؛ ليستريحوا من العذاب¹، فالقضاء في هذه الآية دل على طلبهم الموت كما هو في قوله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ (القصص: 15)²؛ لأنهم وهم أموات لا يشعرون بهذا العذاب الذي يعايشونه.

هذا وقد اختلف على أي وجه يكون طلبهم، (يَمْلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ)، أهو على التمني أم على وجه الاستغاثة مع علمهم بأنه لا منجى لهم من ذلك العقاب، وقد قيل إنهم من شدة ما هم فيه من العذاب ذكروه على وجه الطلب³.

ومع علمهم باليأس إلا أنهم يعلقون آمالهم بالخلاص، وجروا على عادتهم في الغباوة والجلافة فقالوا: (ربك)؛ أي: المحسن إليك، فلم يروا لله عليهم إحساناً وهم في تلك الحالة، فلا شك أن إحسانه ما انقطع عن موجود أصلاً، وأقل ذلك أنه لا يعذب أحداً منهم فوق استحقاقه، ولذلك جعل النار دركات كما كانت الجنة درجات⁴.

ومع تمني الموت الذي يتمناه أهل النار ويتضرعون به إلى الخزنة إلا أن هذه الأمانى لا يستجاب لها مطلقاً، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر: 36)؛ آملين منهم الهلاك ليتخلصوا من هذه الكروب.

¹ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (644/27). القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1418هـ، (8/401).

² يُنظر: الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، (5/190).

³ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (644/27).

⁴ يُنظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (17/482).

ومن الظواهر البلاغية التي نستخلصها من الآية الكريمة: أن اللام في قوله تعالى: (لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ) هي لام الأمر التي تأتي بمعنى الدعاء، وتوجيه الأمر إلى الغائب لا يكون إلا على معنى التبليغ،¹ دلالة منهم واعترافاً بأن هذا اليوم لا تنفعهم فيه شفاعة الشافعين، إنما طلبوا منهم ذلك على وجه التبليغ.

وبعد الأمنية التي رفعها أهل النار للخرقة جاء الرد القرآني من الخرقة بأنهم ماكنون فيها على الدوام ويكون ذلك جواباً جامعاً في نفي الإماتة والخروج.

ويلحظ مما سبق حجم التحسر والألم الشديدين والبلاء العظيم الذي وقع على أهل النار في محاولاتهم البائسة بالبحث عن منفذ آخر للخلاص، ولكن هيهات هيهات لما يتمنونه، كلا إنها كلمة هو قائلها؛ فمحاولاتهم كلها باءت بالفشل، كما يظهر من خلال الرد القرآني على طلبهم ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ (الزخرف: 77).

¹ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (260/25).

الفصل الرابع

مطالب أهل النار من أهل الجنة

المبحث الأول: طلب إفاضة الماء والطعام عليهم

المبحث الثاني: طلب الانتظار لاقتباس النور منهم

الفصل الرابع

مطالب أهل النار من أهل الجنة

بعد أن يحاسب الله العباد على ما اقترفوا من حسنات وسيئات؛ ويجازي المحسن على إحسانه والمقصر على تقصيره، ويجد كل من الفريقين ما وعد ربهم حقاً، فيدخل كل من أهل الجنة أو النار، وهنا يتحسر أهل النار على ما فاتهم من الأعمال الصالحات، ويندمون على ما فرطوا في جنب الله، مقارنةً بأهل الجنة وما يعايشونه من النعيم الذي لا ينضب، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر¹، فيتمنى أهل النار لو أن لهم ما لأهل الجنة من النعيم المقيم والحياة الهائلة.

وها هي مطالب أهل النار تتعدى إلى لون آخر فهي لا تقتصر على استغاثة الرب وخزنة جهنم، بل تتعدى إلى مستوى ثالث؛ وذلك من خلال الاستغاثة؛ وكذلك طلب إفاضة الماء عليهم لشدة ما ذاقوه من لهيب النار الذي تكوى بها جباههم وجنوبهم، واقتباس النور منهم أيضاً؛ ليتخلصوا مما هم فيه من الأذى.

¹ جزء من حديث قدسي، يقول فيه الله تعالى: "أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرٌ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ، فَأَقْرَعُوا إِنَّ شَيْئَكُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ"؛ البخاري، الجامع الصحيح المسند المختصر، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، حديث رقم (3244)، (4/118).

وذلك من خلال دراسة الآيات القرآنية التي تناولت هذه المطالب، وقد ورد ذلك في موضعين في القرآن الكريم، كما يظهر في الجدول الآتي:

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	مكية/ مدنية	المطلب
1	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	الأعراف	50	مكية	طلب إفاضة الماء والطعام عليهم
2	﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ تُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بُابٌ بِاطْنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾﴾	الحديد	13	مدنية	طلب الانتظار لاقتباس النور

المبحث الأول

طلب إفاضة الماء والطعام عليهم

بعد استغاثات كثيرة وأمانٍ عديدة يتضرع بها أهل النار؛ راجين بهذه الاستغاثات النزوح عن النار والخروج منها، وبيان المصير الحتمي الذي أوجده الله عليهم لعظيم حجم البلاء الذي يلحق بهم من جوع وعطش شديدين جزاءً بما كانوا يعملون في دنياهم من كفر وإعراض، فلا يوجد أمام هؤلاء الكفار إلا أن يطلبوا ويستغيثوا بأهل الجنة أن يمدوهم بما أنعم الله عليهم، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 50).

جاءت هذه الآية في سياق حوار أهل الجنة وأهل النار كما صورته آيات سورة الأعراف، في قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنَتْ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 44-50).

فهذه الآيات تظهر التقابل التام بين كل من أصحاب الجنة وأصحاب النار، فبعد أن يطمئن أصحاب الجنة إلى دارهم ويرى أصحاب النار مصيرهم الذي وعدهم الله به، إذا بالأولين ينادون الآخرين، يسألونهم عما وجدوه من وعد الله القديم، وفي هذا السؤال من السخرية المرة ما فيه، لهذا نجد المؤمنين على ثقة تامة من تحقق وعيد الله، ولكنهم يسألون! ويجيء الجواب في

كلمة واحدة نعم، وعندئذ ينتهي الجواب، ويقطع الحوار الذي دار بين كل من الفريقين (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ: أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)¹، وهذا الحوار من أطول مشاهد وعرصات يوم القيامة².

فعندما يُصار أصحاب الأعراف يوم القيامة، وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم فمنعتهم حسناتهم من الدخول إلى النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن دخول الجنة فيقفون على السور حتى يقضى بين الناس، ثم يدخلهم الله تعالى الجنة برحمته³، عندها يطمع أهل النار بحصول الفرج بعد اليأس، فيقولون: ربنا، إن لنا أقارب من أهل الجنة، فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم، فيأمر الله الجنة بأن تترشح، ثم ينظر أهل جهنم إلى أقربائهم في الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم، وينظر أهل الجنة إلى أقربائهم من أهل جهنم فلم يعرفوهم لشدة السواد العظيم الذي يغشاهم، فينادونهم بأسمائهم وذلك بأن يفيضوا عليهم من الماء؛ وإنما طلبوا الماء خاصة لشدة ما في بواطنهم من الاحتراق واللهيب، بسبب شدة حر جهنم⁴.

وسألهم عن الماء في هذه الآية لشدة التهاهم واحتراقهم، فناسب إضافة لفظ الماء هنا لمادة الاكتواء التي تلحق بأهل النار من اكتواء جلودهم وجباههم؛ "لأن من كان في سموم وحميم يكون شعوره بالحاجة إلى الماء البارد أشد وأكثر من شعوره بالحاجة إلى الطعام الطيب"⁵، فالطلب الأول لا يندرج في العموم، بدلالة جواب أهل الجنة إن الله حرمهما على الكافرين⁶؛ أي: أن طلب الماء لا يدخل في قوله (أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ)؛ لشدة حاجتهم إلى الماء.

فهنا يخبر الله تعالى عن ذلة أهل النار وصغارهم في توجههم لأهل الجنة بأن يفيضوا عليهم من النعم الكثيرة التي أمدتهم بها الله تعالى، وقد استغاثوا بهم لشدة حاجتهم إلى الماء، كما

¹ يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (3/1293).

² يُنظر: قطب، مشاهد يوم القيامة، (ص87).

³ يُنظر: البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، البعث والنشور، تحقيق: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، (ط1)، 1986م، (ص108).

⁴ يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، (8/221).

⁵ رضا، محمد رشيد بن علي، (ت: 1354هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1990م، (8/390).

⁶ يُنظر: مقبل، هالا سعيد محمد، الحوار في مشاهد يوم القيامة دراسة دلالية بيانية، رسالة ماجستير، (ص111).

يفعل كل مضطر كالغريق وغيره¹، "وإنما يطلبون ذلك مع يأْسهم من الإجابة إليه حيرة في أمرهم، كما يفعل المضطر الممتحن"².

وهنا ثمة حاجة إلى الماء البارد بشكل كبير لما يتناسب مع ما هم فيه من العذاب الأليم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۖ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ۖ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ (الواقعة: 42-45)، فالريح التي تعصف بهم يوم القيامة ريح حارة، والماء الذي يشربونه يومئذ ماء حار، وأما عن الظل الذي يُظل به أهل النار فدخان أسود قاتم، فناسب طلب الماء؛ أي: الماء البارد ليخفف عنهم حجم العذاب الذي ينزل بهم، وقد ورد في هذه الآية "ذكر ما يتبرد به في الدنيا، من الكرب والحر، وهو ثلاثة: الماء، والهواء، والظل، فهواء جهنم: السموم: وهو الريح الحارة الشديدة الحر، وماؤها: الحميم الذي قد اشتد حره، وظلها: اليعموم، وهو قطع دخانها"³.

ثم إن هذا الحوار الذي يُدار بين كل من الفريقين أهل الجنة وأهل النار، يجسد حجم الطمأنينة التي ينعم بها أهل النعيم بخلاف ما عليه أهل الجحيم الذين يقبعون في نار جهنم المؤصدة، فهي الصرخات تتعالى من قبل أهل النار راجين من أهل الجنة خيرا بعدما نُكِسوا في طلبهم من الله تبارك وتعالى بأن يفيضوا عليهم مما أمدهم به الله من الخيرات⁴، فيُجيب أهل الجنة أهل النار بجواب فيه من التبكيت ما فيه، قال تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ (الأعراف: 50).

وهكذا تتغاير صور العذاب، وتتنوع وجوهه وأشكاله، كلما تجرع منه الظالمون كأسا، وكادوا يستمرئون مرارتها، سقوا كأسا أخرى غيرها، أشدّ مرارة وأشنع طعما، إذ لا يجد أصحاب النار إلا أهل الجنة، يشخصون إليهم بأبصارهم ويمدّون إليهم أيديهم، طالبين النجدة والغوث، بعد أن كان

¹ يُنظر: الزحيلي، التفسير المنير، (8/221)

² الزمخشري، الكشاف، (108/2).

³ ابن رجب، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، (ص110).

⁴ يُنظر: الأمير، موسى سلوم عباس، الوصف في القرآن دراسة بلاغية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط.)، 1971م، (ص283).

أهل النار أسيادًا على أهل الجنة في الدنيا حتى لكانهم آلهة، والناس عبيد أذلاء لهم، ها هم اليوم، يمدون أيديهم في حالة من الذل والانكسار إلى هؤلاء الذين كانوا عبيدًا أو أشبه بالعبيد لهم، يطلبون شيئًا من تلك الموائد الحافلة التي بين أيديهم، أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله!، فيجيبهم الجواب مفحمًا مخرسًا¹.

فتأتي هذه الاستغاثة؛ أي: استغاثة أهل النار بأهل الجنة "عقوبةً من الله لهم على ما سلف منهم في الدنيا من ترك طاعة الله، وأداء ما كان فُرض عليهم"²، ونلمح من هذا النداء الذي يستغيث به أهل النار أنه مليء بالرجاء والذلة والاستجداء³، وفي هذا إقرار منهم بالواقع الذي عاشوه، واقعًا بعد أن كان وعيدًا، من غير مكابرة؛ لأن المكابرة إنما تحدث بين الخصمين في غير مشهد، وهم في الدنيا قبل أن يوجد المشهد كانوا يكذبون البلاغ عن الله، وصارت الدار الآخرة واقعًا بعد تكذيبهم بالبعث، فبعد هذا التكذيب المرير ها هو قد تحقق وجودهم في النار⁴.

ومما جاء عن ابن عباس في بيان حوار أهل النار مع من يعرفون من أهل الجنة في طلب إفاضة الماء "يُنَادِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ احْتَرَقْتُ فَأَفِضْ عَلَيَّ مِنَ الْمَاءِ، فَيَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ)"⁵، فتكون إجابة أهل الجنة لهم محملةً بالتخسئة فيزدادون حسرة على حسرتهم.

وفي التعبير بلفظ (الكافرين) كفاصلة لهذه الآية؛ إشارة إلى أن سبب الحرمان هو الكفر الذي وقع به هؤلاء المعذبين الذين يستجدون بأهل الجنة⁶.

¹ يُنظر: الخطيب، تفسير القرآن للقرآن، (407/4 - 408).

² الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (12/472).

³ يُنظر: قطب، مشاهد يوم القيامة، (91).

⁴ يُنظر: الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، (د.ط.)، (د.ت.)، (4148/7).

⁵ ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، مصنف ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، (ط1)، 1409هـ، حديث رقم (34773)، (135/7).

⁶ يُنظر: أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ط.)، (د.ت.)، (6/2855).

وصورة العذاب التي يشهدها أهل النار تبين لنا أنهم يلتهبون فيتطايرون كما يتطاير الشرر، فإذا رفعهم اللهب أشرفوا على أهل الجنة وبينهم حجاب، فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار (أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً)، وينادي أصحاب النار أصحاب الجنة حين يروا الأنهار تجري بينهم (أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ)، فتردهم ملائكة العذاب بمقامع من حديد إلى قعر النار¹.

ولفظة الإفاضة ترسم لنا مشهداً يلمح منه أن أهل الجنة فوق أهل النار فناسب لفظ الإفاضة هنا؛ لأن الإفاضة لا تكون إلا من الأعلى إلى الأسفل، فيجيب أهل النار أهل الجنة بأن الله تعالى حرم عليهم هذه الخيرات وهذا النعيم؛ ومنعهم منها منعاً كلياً فلا سبيل إلى ذلك قطعاً²، فينسأهم الله كما نسوا يومهم الذي كانوا به يوعدون، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِعَائِلَتِنَا بِمُجَحِّدُونَ﴾ (الأعراف: 51).

وكذلك يطلب أهل النار من أهل الجنة الماء وما رزقهم الله من الطعام والفاوكة إلا أنهم يحرمون من هذا النعيم؛ لأنه تعالى أنعم عليهم في الدنيا، فما كان منهم أن يشكروه سبحانه على هذا العطاء العظيم، بل كفروا به؛ فمنعهم نعمه تلك في الآخرة، فالتحريم هنا تحريم منع، لا تحريم تعبد³.

ومما يلاحظ في قوله تعالى: (أفيضوا) أنها جاءت بأسلوب بلاغي يعبر عن الكثرة والشمول والتوسعة من طعام وشراب مما أمد الله به أهل الجنة من الطيبات التي حرّمها على الكافرين، والإفاضة هنا تُستعمل في غير الماء، كقولنا فاض الرزق والخير⁴.

ومعنى الإفاضة متضمن معنى الإلقاء لأن الفعل فاض يتعدى بدون حرف جر⁵.

¹ يُنظر: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، (ط1)، 1425هـ، (870).

² يُنظر: أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (3/ 231).

³ يُنظر: القاسمي، محاسن التأويل، (5/ 64).

⁴ يُنظر: رضا، تفسير المنار، (8/ 390). الزحيلي، التفسير المنير، (8/ 222).

⁵ يُنظر: النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1421هـ، (3/ 362).

ويُستخلص مما سبق حجم العذاب الذي ينصب على أهل النار يوم القيامة، فلا يجد هؤلاء القوم إلا أن يبحثوا عن وسيلة أخرى من أجل أن يخففوا عن أنفسهم مما هم فيه فيسألون أهل الجنة الماء؛ لأن طعام وشراب وعذاب أهل النار كله في غاية الشدة والحرقه، فيتناسب طلب الماء ليسكن حجم الحرارة والعطش الذي يلحق بهم.

المبحث الثاني

طلب الانتظار لاقتباس النور منهم

بعد فشل طلب أهل النار بالحصول على الماء حتى يُخَلِّصُوا أنفسهم من شدة ما يكابدونه من العذاب، ها هم يجددون مطلبهم من أهل الجنة من جديد، ولكن على غير الصورة التي كانت عليها في السابق، وهذا المشهد يُعبر عن سوء حال أهل النار، ويُظهر مدى الذل والانكسار الذي يعتريهم، فيطلبون من أهل الجنة أن يقتبسوا من نورهم؛ لعلمهم يستضيئون بنورهم، مما يعينهم على الخروج من ذلك الظلام الدامس، كما يظهر من خلال الآية الكريمة، ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ (الحديد: 13).

ومما يمتاز به أهل الإيمان على أهل النار، النور الذي يُسبغه الله عليهم، مما يزيد في حسرة أهل النار ولوعتهم التي تحثهم على طلب النور¹، وبينما أهل النار في ظلمات ساهون وفي العذاب يصطرخون، إذ بهم يرفعون طلباً آخر لأهل الجنة بأن ينهلوا شيئاً من نورهم الذي تفضل الله به عليهم، فيضرب الله تبارك وتعالى بينهم بسور.

فإنه يُسرع بأهل الجنة إلى الجنة كالبرق الخاطف، ليرى كل منهم مقعده، وبينما أهل النار في ظلمة شديدة فإذا بهم يستغيثون بأهل الجنة أن ينظروا إليهم ليقتبسوا شيئاً من أنوارهم؛ ليستضيئوا بنور بين أيديهم، فيرد عليهم الملائكة أو المؤمنون بقولهم: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ)؛ أي: ارجعوا إلى الدنيا، فَالْتَمِسُوا نُورًا آخر غير هذا النور؛ وذلك بتحصيل المعارف الإلهية والأخلاق الفاضلة، فإنكم تلتمسون الهدى في غير موطنه؛ فزمن التكليف قد انتهى، ومن كان يرغب في نور الآخرة كان عليه أن يعمل من أجله في الدنيا، وهو تهكم بهم وتخيب من المؤمنين أو الملائكة،

¹ يُنظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1995م، (7/544).

فيضرب بينهم بسور له بابٌ يدخل منه المؤمنون، باطنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ لأنه يلي الجنة، وظاهرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ من جهته لأنه يلي النار¹.

وقوله تعالى: (قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا) فيه خدعة للمنافقين، فعندما يرجعون إلى الورا؛ أي: إلى المكان الذي قسم الله فيه النور فلا يجدون شيئاً من هذا، فإن بالسور مضروباً بينهم وبين المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ﴾ (النساء: 142)².

فالمراد بالنور هنا: "هو الضياء الذي يُرى بين أيديهم وبأيمانهم وذلك على الصراط يوم القيامة، وهو دليلهم إلى الجنة"³، الذي يشع طريقهم نوراً وأمناً، ليملاً قلوبهم طمأنينةً وتثبيتاً، وفيه "إشارة إلى أن هذا النور يطلب في الدنيا بالإيمان وصالح الأعمال فيرجعون إلى الورا"⁴.

وهذا إخبار منه تعالى عما سيكون يوم القيامة من عرصات وأهوال مزعجة، وزلازل عظيمة، وأموراً فظيعة، وأنه لا ينجو منها إلا من آمن بالله ورسوله⁵، فبعد القضاء بين العباد يوم القيامة، ويُصار كل منهم إلى مقعده فيؤخذ بالكفار إلى النار، وبالمؤمنين إلى الجنة، ثم يليهم المنافقون كما كانوا في الدنيا يعدون أنفسهم منهم، ويعطون نوراً لخدعهم، فإذا توسطوا الصراط انطفأ نورهم، فينادي أهل النار المؤمنين (أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)، كما يفعله الأصحاب في الدنيا إذا انطفأ مصباح أحدهم، فيرد عليهم الملائكة أو المؤمنون، بقولهم: (ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ)؛ أي: إلى الدنيا، (فَالْتَمِسُوا نُورًا) آخر؛ لأنه محل الأعمال التي صارت اليوم أنواراً⁶.

¹ يُنظر: البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (5/187)، النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (3/436)، الشعراوي، تفسير الشعراوي، (7/4149).

² يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (29/458).

³ الشوكاني، فتح القدير، (5/203).

⁴ الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، (ت: 1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام علي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، (ط5)، 2003م، (5/267).

⁵ يُنظر: ابن كثير، تفسير ابن كثير، (8/16).

⁶ يُنظر: الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان، غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني، تح: محمد مصطفى كوكسو، جامعة صافقيا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، (د.ط)، 2007م، (93). الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2004م، (4/263). ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان وغيره، القاهرة، 1419هـ، (7/316).

وهذا المشهد من المشاهد الفظيعة التي يبينها القرآن الكريم لنا في رسم معالم النور، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "بَيَّنَّمَا النَّاسُ فِي ظِلْمَةٍ، إِذَا بَعَثَ اللَّهُ نَوْراً، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ النُّورَ تَوَجَّهُوا نَحْوَهُ، وَكَانَ النُّورُ دَلِيلًا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْجَنَّةِ، فَلَمَّا رَأَى الْمُنَافِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ انْطَلَقُوا إِلَى النُّورِ تَبْعُوهُمْ، فَأَظْلَمَ اللَّهُ عَلَى الْمُنَافِقِينَ فَقَالُوا حَيْثُ نَحْنُ؟ (أَنْظُرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ) فَإِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ فِي الدُّنْيَا، قَالَ الْمُؤْمِنُونَ: ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً مِنْ حَيْثُ جِئْتُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ فَالْتَمِسُوا هُنَاكَ النُّورَ¹، وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: "تُبْعَتْ ظِلْمَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ يَرَى كَفَّهُ، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ بِالنُّورِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَيَتَّبِعُهُمُ الْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُونَ: أَنْظُرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ"²، وهذا الحوار الذي يُدار بين كل فريق من الفريقين مليء بالتبكيك والتقرع الذي يحمل في ثناياه حجم التوبيخ والصغار الذي يلحق بأهل النار يوم القيامة.

وهذه الآية (أَنْظُرُونَا نَقْتَسِسْ مِنْ نُورِكُمْ) ترسم لنا المشهد الحقيقي الذي يُخبر الله فيه عن حال المنافقين والمنافقات يوم القيامة وما هم فيه من الحيرة والضلال، والمهانة والإهمال، وبيان حالهم وهم يتعلقون بأذيال المؤمنين والمؤمنات، راجين منهم أن يقتبسوا شيئاً من أنوارهم التي تفضل الله بها عليهم، ولكن أنى لهم أن يقتبسوا من هذا النور، وقد مضوا حياتهم وهم في ظلام دامس وبعد عن الله، وبينما هم كذلك إذ بصوت مجهول يُجيبهم بأن يلتمسوا نوراً غير هذا النور الذي يتمتعون به، ويبدو أنه صوت للتهكم، والتذكير بما كان منهم في الدنيا من نفاق ودس في الظلام: ارجعوا وراءكم إلى الدنيا، إلى ما كنتم تعملون³.

فلا يملك أهل النار يومها إلا أن يتوجهوا إلى أهل الجنة بقولهم: انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم النيرة فيستضيئون بنورهم، والمراد بالقبس هنا: الشعلة من النار والسراج، فلما قالوا ذلك قيل ارجعوا وراءكم إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فالتمسوا نوراً؛ أي: اطلبوا هنالك نوراً لأنفسكم، فإنه من هنالك يقتبس، وذلك من خلال الرجوع إلى الدنيا والتزود من

¹ يُنظر: السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (8/53).

² ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، (ط3)، 1419هـ، (3337/7).

³ يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (6/3486).

الأعمال الصالحة بما التمسناه في الحياة الدنيا¹، فالإجابة بالرجوع إلى وراء كانت على سبيل الطرد والتهكم².

فهذا الباب الذي يُضرب بين الجنة والنار يُفتح على أهل النار حتى يروا النعيم الذي يتنعم به أهل الجنة؛ ليزدادوا حسرة وندامة على ما فاتهم فيه من الأعمال الصالحات³.

فيجيء جواب أهل الجنة لهم وفيه من التيسير الذي لم يكن يجول في خلد أهل النار بعد انقطاع رجائهم من الرب والخزنة، بأنه لا سبيل لكم عندنا.

وقد دلت الآية على أن أهل النار يكونون على بعد من المؤمنين ولا ينتفعون بنورهم، ولكن يرون ذلك اليوم من بُعد كما جاءت به الآية (أَنْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ)، فلو كانوا بقرب منهم لما طلبوا منهم الانتظار والاقتباس من نورهم⁴.

وجاءت مناسبة الآية بذكر طلب النور بين أيديهم وبأيامانهم؛ "لأن السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين، كما أن الأشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم، فجعل النور في الجهتين شعاراً لهم وآية؛ لأنهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا"⁵، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمْ أَقْرَأُوا كِتَابِيَةَ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبَاءِ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْبِثْ لِي أُوتَ كِتَابِيَةَ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حَسْبَاءِ ﴿٢٦﴾ يَلْبِثْهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَآكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾ خُدُوهُ فَعُلُوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ

¹ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، (204/5). الزمخشري، الكشاف، (475/4). الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (د. ت)، (248/4).

² يُنظر: الزمخشري، الكشاف، (475/4).

³ يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (9/520).

⁴ يُنظر: الماتريدي، تأويلات أهل السنة، (9/520).

⁵ الزمخشري، الكشاف، (475/4).

﴿٣٣﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَهُنًا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ (الحاقة: 19-37)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُجَاسِبُ حَسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ (الانشقاق: 7-13).

وعلى الفور يفصل بين المؤمنين والمؤمنات والمنافقين والمنافقات، فيضرب بينهم بسور له باب، هذا الباب على وجهين باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، ويبدو أنه سور يمنع الرؤية، ولكنه لا يمنع الصوت، فها هم هؤلاء المنافقون ينادون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ (الحديد: 14)، فيسألونهم ألم نكن معكم في الدنيا نعيش في صعيد واحد؟ وقد بعثنا معكم هنا في صعيد واحد؟¹، فيجيبهم أهل الجنة بأنكم كنتم معنا ولكن بألسنتكم لا بقلوبكم، وبأنكم كنتم قد دخلتم هذا الدين بثياب زائفة يقطرها النفاق، وتربصتم بالمؤمنين الدوائر؛ لتدخلوا بها في زمرة المؤمنين².

ويُستخلص مما سبق حجم الندم والأمانى التي يتمناها أهل النار يوم القيامة، وبينما هم في ظلمة ووحشة وبحاجة إلى نور حتى يخفف عنهم مما هم فيه من العذاب، فإذا بالخدع تنتزل عليهم جزاءً بما كانوا يعملون في دنياهم من الأعمال السيئة التي استحقوا بدخولها النار والعياذ بالله، وبينما كانوا في دنياهم يستهزئون بالرسول والمؤمنين فإله تعالى يستهزئ بهم كذلك جزاء جرمهم الشنيع الذي استحقوه بما كسبت أيديهم، ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ (النساء: 142)، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (البقرة: 15)، فيجابون بإجابات فيها من التئیس والإذلال مما يزداد عذابهم فوق عذاب.

¹ يُنظر: قطب، في ظلال القرآن، (3486).

² يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (762/14). حوى، الأساس في التفسير، (5746/10).

الفصل الخامس

أهداف مطالب أهل النار يوم القيامة

المبحث الأول: التبرؤ من الكافرين

المبحث الثاني: تمنى الإيمان والتمسك به

المبحث الثالث: القيام بالأعمال الصالحة

الفصل الخامس

أهداف مطالب أهل النار يوم القيامة

لقد أطنب القرآن الكريم في تصوير مطالب أهل النار، فبينما هم يصطرخون ويستغيثون بكل من له قدرة على أن يخلصهم أو يخفف عنهم مما هم فيه من العذاب، نلاحظ مجموعة من الأهداف التي يتمناها أهل النار، من جملة هذه الأهداف:

1. التبرؤ من الكافرين.
2. تمنى الإيمان والتمسك به.
3. القيام بالأعمال الصالحة.

ولكن أنى لهم ذلك، فما هذه الأهداف التي يطمح إليها أهل النار إلا نتيجة معاينة شتى ألوان العذاب، فبعد محاولات كثيرة كانوا قد بذلوها في التخلص من هذا العذاب، تأتي هذه الأمانى لترسم مشهد التوبيخ النفسي لأهل النار، يتمنون حينها الرجوع إلى الدنيا ليعملوا صالحا؛ لتكون وقاية لهم ومانعا من الدخول في النار.

وها هي مشاهد يوم القيامة تُعرض حية حاضرة، وما زالت الخلائق في الدنيا؛ لكي يتحقق الغرض الديني المتمثل في التقوى، محذرةً العباد بضرورة التخلص من هذه التبعية التي يقابلون بها، وموضحةً عدل الله في الحساب والجزاء، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7-8).

المبحث الأول

التبرؤ من الكافرين

وبعد هذه الاستغاثات التي تضرع بها أهل النار من الله تعالى وملائكته وأهل الجنة، ها نحن أمام مشهد من مشاهد يوم القيامة الذي يظهر فيه تخاصم أهل الكفر فيما بينهم، فبعد أن كانوا في الدنيا يوالون بعضهم بعضًا، يجمعهم في ذلك حبهم ومودتهم والانتصار الذي كانوا يجابهون به أعداءهم، إذا بهم عندما يعرضون على الله تبارك وتعالى يتخاصمون فيما بينهم، وليس هذا فحسب بل يتبرأ كل منهم من خليفه الذي كان يحبه حبًا أشد وأكبر من حبه لربه سبحانه وتعالى.

وها هم يحاولون البحث عن وسيلة أخرى غير التي كانوا عليها في الاستغاثة والدعاء، بحيث لا يتوانى هؤلاء ولا للحظة في البحث عن مخرج آخر ينجيهم من هذه الكروب والويلات، إلى أن يقف كل منهم أمام خصمه الذي كان سببًا في إضلاله وإغوائه كي يتبرأ منه.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: 165-167).

فهذه الآيات جاءت في سياق الحديث عن يوم القيامة عندما يجد الكافرون ما وعدهم ربهم حقًا، حينها يأخذ أهل النار يتحسرون ويعضون على أيديهم ندمًا على ما فاتهم في دنياهم من الأعمال الصالحة، فحينها لا يجد المتبوعون إلا أن يتبرؤوا من الأتباع الذين اتخذوهم في الحياة الدنيا أندادًا من دون الله، الذين كانت تجمعهم أيضًا القرابات والصدقات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝١٧ يَوَيْلَ لِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝١٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۝١٩ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾ (الفرقان: 27-29)،

فيُتَبَرَّوْنَ من بعضهم بعضاً¹؛ أي: أنهم يعترفون ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا ويدعونهم إليه من الكفر والضلال، ويعتزلون مخالطتهم ويقابلونهم باللعن²، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ لَعْنَتَكَ مِنْ الْعَذَابِ وَالْعَنَاهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: 68).

ومن هنا جاء التهديد الرباني لهؤلاء بالعذاب الشديد والذل الكبير، قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: 167)، فاتخاذ الأنداد من البشر من دون الله وحبهم جنابة كبرى وشرك عظيم موجب للنار³، فعندما عاين أهل النار العذاب وعجزوا عن دفعه لم يكن أمامهم إلا أن يتبرأ كل منهم من الآخر⁴، لغرض التنصل والتهرب من الكافرين⁵، والتنصل هنا بمثابة التبرؤ من جنابة أو ذنب⁶.

فحين يعاين الأتباع والمتبوعون العذاب الشديد يوم القيامة يتخلى المتبوعون عن أتباعهم ويناصبونهم العداء وتتقلب مودتهم جفاء، ويتحول تقربهم الذي كان في الدنيا إلى كراهية وتباعد⁷. فالتبرؤ هنا المراد منه: المبالغة في البراءة، التي تقضي فيما بين المتخاصمين مما يُكرهه قربه وجواره⁸، مما يعمل على إسقاط الرياسة والقيادة التي كان المخدوعون يتبعونها، وهي التي عجزت عن وقاية أنفسها، فضلاً على وقاية تابعيها⁹.

¹ يُنْظَر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (2/206). البغوي، تفسير البغوي، (1/197). الشريبي، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي، (ت: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1285هـ، (1/111).

² يُنْظَر: البرسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (1/270).

³ يُنْظَر: الزحيلي، التفسير المنير، (2/68).

⁴ يُنْظَر: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، (ط1)، 1993م، (1/254).

⁵ يُنْظَر: مجموعة من المتخصصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة، جدة، (ط4)، (د.ت)، (9/4285).

⁶ يُنْظَر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، (9/4280).

⁷ يُنْظَر: الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الأتباع والمتبوعون في القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 1994م، (ص58).

⁸ يُنْظَر: رضا، تفسير المنار، (2/63). وابن عاشور، التحرير والتنوير، (2/97).

⁹ يُنْظَر: قطب، في ظلال القرآن، (1/154).

فيتخلّى كل منهم عن الآخر، ويود حينها أن يعود الواحد منهم إلى دنياء لينهل من الصالحات ما يستطيع أن يدفع عن نفسه هذه الويلات التي ألمت به، لا سيما أن الآية جاءت بأسلوب التمني كما يظهر من قوله تعالى: (لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ¹)؛ أي: لو رُددنا إلى الدنيا حتى نعمل من الصالحات ونتبرأ ممن كان سبباً في دخولنا النار².

وهذا الموقف "ينكشف فيه الغطاء، ويرى الناس فيه العذاب بأعينهم، ويعرفون أسبابه من تأثير العقائد الباطلة والأعمال السيئة في أنفسهم، كأن الأمر قد وقع، والبلاء قد نزل، ورأى الرؤساء المضلون الذين اتبعوا أن إغواءهم للناس الذين اتبعوا رأيهم، وقلدوهم دينهم، قد ضاعف عذابهم، وحملهم مثل أوزار الذين أضلوهم فوق أوزارهم، فيتبرؤوا منهم، وتتصلوا من ضلالتهم (وَرَأَوْا الْعَذَابَ)؛ أي: والحال أنهم قد رأوا العذاب الذي هو جزاؤهم ماثلاً لهم يوم الحساب، فأنى ينفعهم التبرؤ وقد (وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ)؛ أي: الروابط التي كانت بينهم وبين التابعين، وإنما كان ينفعهم في الدنيا لو أنهم آثروا به الحق على الرئاسة والجاه والمنافع التي يستفيد بها الرئيس باستهواء المرؤوس وإخضاعه له وحمله على إتباعه، أما وقد صدر عن نفوس ترتعد من رؤية العذاب الذي أشرفت عليه بما جنت واقتربت، بعدما تقطعت الروابط والصلات بينها وبين المتبوعين واصطلمت، فلا منفعة للمتبرئ تركت فيحمد تركها، ولا هداية للمتبرئ منه ترجى فيحمد أثرها³.

ومن الظواهر البلاغية التي اعتنت بها الآية مجيء حرف (إذ) الذي لا يخرج عن كونه ظرفاً للماضي، ولكنها وقعت هنا بدل اشتغال⁴ من ظرف (إذ يرون) فيكون المعنى: لو ترى

¹ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (206/2). والكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، (د.ط)، (د.ت)، (189/1).

² يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (206/2). والبيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (118/1). والنسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (149/1).

³ رضا، تفسير المنار، (2/64).

⁴ هو ما يدل على معنى في متبوعه، أو يستلزم معنى في متبوعه، كقولك: أعجبنى زيد حسنه، وكقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (مريم: 16)، فإن وقت الإنتباذ وما عقبه يستلزم معنى في مريم عليها السلام وهو كونها على غاية من التقى والبر والعفاف، فلذلك صح في (إذ) أن تكون بدل اشتغال من مريم. ابن الناظم، بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد، شرح ابن ناظم على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1420هـ، (ص394). والرزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2/454).

المشركين في هذا الموقف وهم متلبسون بحالين وهما¹:

- الأولى: رؤية العذاب الشديد وهي حال فطبيعة.

- الثانية: اتخاذ المشركين أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله.

وهما حاصلين في زمن واحد.

"فالصورة هنا ترسم مشهد الأتباع والمتبوعين، وتعرضه وكأنه حاضر الآن بالاعتماد على فعل الرؤية المضارع من بداية المشهد، لاستحضاره حيا شاخصا، ويزيد الحوار من حيوية المشهد، وحضوره، وتأثيره في النفس، فيرى فيه الأتباع والمتبوعون صورتهم حقيقة واقعة، بكل ما فيها من تفاصيل دقيقة، وأدوار ومواقف، وأهداف في الدنيا، فالمتبوعون يقومون بدور خبيث في إضلال الأتباع، ويسلكون كل سبيل لتحقيق ذلك، ويستمررون بالتضليل في الليل والنهار بمكر ودهاء، لتحقيق إضلال الأتباع عن الحقيقة، لينقادوا إليهم، وتتعرى صورة المتبوعين، أمام الأتباع وهم ما زالوا في الدنيا، ليتخلصوا من هذه التبعية قبل فوات الأوان، لأن المعادير في مشهد يوم القيامة لا تفيد، وكذلك إلقاء التبعة على المتبوعين أيضا"².

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (القصص: 62-63)، فهذا النداء من الله تعالى نداء توبيخ للكفار والمشركين يوم القيامة يستجوبهم فيه عن الآلهة التي اتخذوها من دونه من الأصنام والأنداد، هل بمقدور هذه الأنداد أن تتفعمكم أو تتصركم؟ وما يكون هذا إلا على سبيل التقريع والتهديد³، وهؤلاء المتبوعون

¹ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (2/96).

² الراغب، وظيفة الصورة الفنية، (ص351).

³ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (225/6).

من الرؤساء والقادة إما أن يكونوا من الإنس أو الشياطين الداعين إلى الضلال¹، فهم الذين حق عليهم القول، فشهد المتبوعون على الأتباع أنهم أغوهم فاتبعوهم ثم تبرؤوا من عبادتهم².

لقد رسم الحوار بين الأتباع والمتبوعين مشاهد عدة تصور لنا شدة العداوة بينهم، وترسخها، ففي إحدى هذه المشاهد تصوير موقف الشيطان من أتباعه وهو يتبرأ منهم في الخطبة التي ألقاها على أهل النار، يقول الله تبارك وتعالى فيها على لسان الشيطان: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (إبراهيم: 22)، فالشيطان يتبرأ من أتباعه وينفي إغوائه وتضليله لهم بقدرة منه، بل يوعز ذلك إلى رغبتهم وإرادتهم واختيارهم³، ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في موضع آخر: ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ (ق: 27) والمراد بالقرين هنا هو "الشيطان"⁴، وقوله تعالى أَيْضًا: ﴿وَمَنْ يَعَشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف: 36).

كما أن الملائكة تتبرأ من الأتباع الذين زعموا أنهم عبدوهم، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلِينَ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (سبأ: 40-41)، فهؤلاء المتبوعون من الملائكة كانوا على هدى، وزعم أتباعهم أنهم كانوا على منهجهم وطريقتهم ولكنهم في الحقيقة مخالفون لهم وسالكون على غير طريقتهم وعلى غير منهج الأنبياء والمرسلين، وهم الذين ذكرهم الله في كتابه العزيز، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (الكهف: 103).

¹ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (25/9). والبغوي، تفسير البغوي، (179/1).

² يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (250/6).

³ يُنظر: مقبل، الحوار في مشاهد يوم القيامة دراسة دلالية بيانية، (ص66).

⁴ الزمخشري، الكشاف، (950/5).

وهذا حال كل من اتخذ من دون الله أولياء يوالي لهم، ويعادي لهم، ويرضى لهم، ويغضب لهم، فتحبط أعمالهم ويراهم حسرات يوم القيامة¹، ويكون هذا مصير كل من لم يجرد موالاته ومعاداته ومحبته وبغضه وعبادته لله وحده.

ونلمح من قوله تعالى: (اتبعوا) أن المتبوعين كانوا يدعون إلى متابعتهم بعد أن تعهدوا لهم أن يكونوا شفعاء لهم في الآخرة، ومما يؤكد هذا المعنى قوله تعالى: (فَتَنبَرَّأ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا)^٢؛ أي: نجازيهم على إخلافهم الوعد³.

فلا حوار في هذا المشهد بين هؤلاء وهؤلاء، فقط يتبرأ المتبوعون من التابعين، فيحقد عليهم هؤلاء ويجزون على أسنانهم من الغيظ ويتمنون أن يعودوا إلى الدنيا ليشفوا صدورهم من الغل⁴. والمراد بالكرة في الآية "الرجعة والعودة إلى حال قد كانت"⁴؛ أي: لنا عودة إلى الدنيا حتى نتبرأ من هؤلاء الأنداد المعبودين ومن عبادتهم كي نفرد الله وحده بالعبادة⁵.

وما أمانى التابعين أن يُردوا إلى الدنيا إلا حنقًا وغيظًا على المتبوعين حين تبرأوا منهم، فهم كذبة ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ (الأنعام: 27-28)⁶.

وهذا المشهد من مشاهد عرصات يوم القيامة يعرض على الأتباع وهم ما زالوا في الدنيا ليحذروا من مخاطر هذه التبعية وعدم التورط فيما يؤدي إلى الحسرة والندم في الآخرة إذ لا ينفعهم

¹ يُنظر: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، تح: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، (د.ط.)، (د.ت.)، (ص50).

² يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (97/2).

³ يُنظر: قطب، مشاهد يوم القيامة، (ص201).

⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (206/2)؛ بنت الشاطي، عائشة محمد علي عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف، (ط3)، (د.ت.)، (ص138).

⁵ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (478/1).

⁶ يُنظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص96).

فيها ندم ولا حسرة، وهذا أسلوب القرآن الكريم في تصوير المشهد قبل وقوعه بما فيه من مواقف وحقائق ولمسات نفسية لتحقيق الغرض الديني¹، وهو إرشاد الأتباع إلى سبيل التخلص من التبعية وهم ما زالوا يملكون القدرة على تحقيق هذه الأمنية في التبرؤ من متبوعهم في الحياة الدنيا، وذلك بالاهتداء إلى الحق والالتزام به، والإقبال على الله من خلال أعمال الحس الرقابي وصياغة الأفكار والمبادئ من خلال حقائق القرآن والاعتداد بالإرادة والحرص على العزة والكرامة واستحضار المصير البائس للمتبعين وأتباعهم يوم القيامة².

ويُستخلص مما سبق: أنه عندما يرى أهل النار من كان سبباً في إغوائهم وإضلالهم ومن تسبب في دخولهم النار، لا يسع هؤلاء المتبعون إلا أن يتبرأوا من أتباعهم، وكذلك يتبرأ الأتباع من المتبعين، بعد أن جمعتهم الدنيا على المودة والمحبة، فتنقطع بينهم روابط المودة في الآخرة، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾.

¹ يُنظر: الراغب، وظيفة الصورة الفنية، (ص352).

² يُنظر: الخالدي، الأتباع والمتبعين، (ص55).

المبحث الثاني

تمني الإيمان والتمسك به

لقد أطنب القرآن الكريم في حديثه عن مشاهد العذاب التي تقع على أهل النار، وها هي الآيات القرآنية تصور لنا حجم المآسي والويلات التي يعانيتها أهل النار بعد أن ينكشف لهم ما كانوا يكفرون به من البعث والجزاء، فيأخذ أهل النار يتحسرون على ما فاتهم فيها من الإيمان الذي يكون حصناً آمناً لهم من العذاب.

وها هي الأماني تُعرض في صورة من صور العتاب النفسي والتوبيخي، فقد عرضت آيات القرآن الكريم لعدد من هذه الصور، صور الندامة والتقرع على ترك الإيمان والإسلام والتشبث بهما الذي هو مصدر سعادة ونجاة لصاحبه يوم القيامة، ويظهر ذلك من خلال آيات تمني العودة إلى الدنيا؛ لطلب الإيمان والتخلي به، بعد مقارعات شديدة من العذاب، فتكون أمنية الواحد منهم ﴿يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِعَايَتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27)، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 102)، وقوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ (الحجر: 2).

هذه الآيات القرآنية ترسم مشهد التمني الذي يتمناه أهل النار بعد انكشاف الغطاء الذي أسدى ستاره عليهم من تقرير حقيقة البعث والجزاء، واتضح "بطلان ما كانوا عليه من الكفر، وأن الدين عند الله سبحانه هو الإسلام لا دين غيره، حصلت منهم هذه الودادة التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل هي لمجرد التحسر والتندم ولوم النفس على ما فرطت في جنب الله"¹، فيتمنى أهل النار الرجوع إلى الدنيا لتحصيل الإيمان حين لا رجعة لهم².

¹ الشوكاني، فتح القدير، (3/146)

² يُنظر: الخازن، تفسير الخازن، (3/328).

ومما يلاحظ في هذه الآية ﴿يَلَيَّتَنَا نُرْدُ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27)، أنها جاءت بصيغة الماضي للدلالة على أنهم يتمنون الإسلام بعد مضي وقت التمكن من إيقاعه، وفوات الأوان¹، ويكون لسان حالهم تمنى الإيمان في كل ساعة².

قال الزجاج في معنى (وقفوا) في قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيَّتَنَا نُرْدُ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27)، يحتمل ثلاثة أوجه³:

الأول: أنهم وقفوا عندها معاينون لها ينتظرون دخولها.

الثاني: أن يكونوا قد وقفوا على الصراط، وبهذا تكون النار من تحتهم.

الثالث: أنهم عرفوا حقيقتها كقولنا: وقفت فلاناً على كلام فلان؛ أي: علمته معناه وعرفته.

وأضاف الرازي معناً رابعاً: أنهم يكونون في جوف النار، حيث النار محيطة بهم إذ هم غائسين فيها، وعلى هذا التقدير تقوم (على) مقام (في)، ويصح هذا التقدير وقفوا على النار؛ لأن النار دركات وطبقات بعضها فوق بعض، فيصح فيها معنى الاستعلاء⁴.

ومع هذه الأمانى التي يتمناها أهل النار من طلب الإيمان والتشبث به إلا أنها أمانى خيالية لا يرجى منها نفع أو دفع ضرر، ثم إنه لو كتب الله تعالى عليهم العود إلى الدنيا لعادوا لما نهو عنه، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (الأنعام: 28).

فهم لم يطلبوا العودة إلى الدنيا رغبة ومحبة بالإيمان، بل خوفاً من العذاب الذي عاينوه جزاء بما كانوا عليه من الكفر والانحراف عن الحق⁵.

¹ يُنظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، (14/11).

² يُنظر: الزمخشري، الكشاف، (2/570).

³ يُنظر: الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (2/239).

⁴ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (12/507).

⁵ يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (3/248).

ومما يلاحظ أيضاً من خلال الآيات السابقة التي تناولت مادة التمني من قبل أهل النار، أنها مكللة بالتهكم والتخويف لهم، وبضرورة الاستدراك على ما فاتهم فيها من الأعمال الصالحات ما داموا في دار العمل¹، وهذا بعد معاينة حجم الأهوال والصعاب التي يرونها بعد اجتماع أنواع النكال الشديد وظهور حقيقة العذاب².

فلما وقع أهل النار في هذا الهلاك وعلموا أنه لا مرد لهم من أمر الله، شرعوا بالتمني المحال، فقالوا: (قُلْ أَنْ لَنَا كَرَّةٌ)؛ أي: رجعة إلى الدنيا (فَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)، فنصير من جملتهم³، ولقد صدر هذا التمني من أهل النار حين لا ينفعهم التمني، فقولهم: لو نرد ويكون لنا رجوع إلى الدنيا لآمنا من أجل أن يكون لنا شفعاء، وإنما قالوا ذلك حين عاينوا شفاعاة الملائكة والمؤمنين⁴، ولكن هيهات هيهات لما يتمنون.

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى، قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ (٨٤) ﴿فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ﴾ (غافر: 84-85)، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ (٢٣) ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: 23-24)، وقوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنَّا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: 27)؛ أي: يا ليتنا نرد ونوفق للإيمان والتصديق، ولا نكذب ونكون من المؤمنين؛ بعد أن عاينوا وشاهدوا ما لا يمكن تكذيبه⁵، فيتمنوا الرجوع إلى الدنيا بهدف التمسك بالإيمان والتحلي به؛ حتى لا يروا هذا الموقف مرة ثانية، ولكن بعدت عليهم الشقة، مما يزداد حسرة عليهم.

¹ يُنظر: الشنقيطي، مختار عمر مختار، أسلوب التمني في القرآن الكريم رسالة ماجستير، تخصص القرآن الكريم وعلومه في كلية الدراسات الفقهية القانونية، جامعة آل البيت، (ص43).

² يُنظر: المرجع نفسه، (ص52).

³ يُنظر: البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (14/60).

⁴ يُنظر: الشوكاني، فتح القدير، (4/125).

⁵ يُنظر: أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأمان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، (439).

فيكون لسان حال الكفار يوم القيامة وهم يُسْعَرُونَ: ليت لنا رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين، فلا ينالنا إذا متنا فبعثنا مثل ما نحن فيه من العذاب الذي لا ينفع فيه أحد¹.

ثم إن كلاً من الإيمان والإسلام واحدٌ فإذا ما أطلق لفظ الإيمان مفرداً فيراد به الإسلام، وإذا أُفرد الإسلام فيراد به الإيمان، وإذا اجتمع كل من الإيمان والإسلام معاً فكل منها يختلف عن الآخر، "ومثل الإيمان والإسلام أيضاً كفسطاط قائم في الأرض له ظاهر وأطناب، وله عمود في باطنه، فالفسطاط مثل الإسلام له أركان من أعمال العلانية والجوارح، وهي الأطناب التي تمسك أرجاء الفسطاط، والعمود الذي في وسط الفسطاط مثله كالإيمان لا قوام للفسطاط إلا به. فقد احتاج الفسطاط إليها، إذ لا قوام له ولا قوة إلا بهما، كذلك الإسلام في أعمال الجوارح لا قوام له إلا بالإيمان، والإيمان من أعمال القلوب لا نفع له إلا بالإسلام، وهو صالح الأعمال"².

ومن خلال ما تقدم نلاحظ شدة حماس أهل الكفر في العودة إلى الدنيا من أجل التحلي بالإيمان والإسلام الذي يكون بمثابة درع حصين لهم من العذاب الذي يعانيه أهل النار، فيشرعون بهذه الأمانى الوهمية؛ لشدة ما لاقوه من عذاب وخزي جزاء كفرهم الذي كانوا عليه، ثم إنه لو كتب الله عليهم الرجوع إلى الدنيا لعادوا لما نهو عنه من اقتترف السيئات والمضي في الوقوع في الآثام.

¹ يُنظر: الألوسي، روح المعاني، (104/10).

² ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأردن، (ط5)، 1996م، (262).

المبحث الثالث

القيام بالأعمال الصالحة

وبعد مطالب حثيثة يتوجه بها أهل النار من الله تعالى؛ للخروج من النار، ها هم يدعوا على أنفسهم بالويل على ما فرطوا في دنياهم، آملين منه سبحانه الخروج من النار من أجل الاستزادة من الأعمال الصالحات، لكنها على غير الصورة التي سبقت من طلب الإيمان وحده، وإنما العمل الصالح، إذ إنه لا يُشترط في الإيمان التحلي به وحده، بل لا بد من العمل، فلا إيمان بدون عمل، ولا عمل بدون إيمان¹، فكل منهما مرتبط بالآخر وأخذ بحجز بعض، فالإيمان "قول" وعمل²، ولهذا نجد أن سبب طلب الرجوع إلى الدنيا وطلب الإيمان من أجل التزود من الأعمال الصالحة.

فعندما يجد أهل النار ما وعدهم ربهم حقا، ينظر كل منهم إلى ما صنع في حياته وما اقتترف من أعمال، قال تعالى: ﴿يَقُولُ يٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ (الفجر: 24)، عندها يأخذ كل منهم يتمنى الرجوع إلى الدنيا من أجل أن ينهل من الصالحات، التي تكون سبباً في التخلص مما هم فيه من العذاب، وهذا ظاهر في الكثير من الآيات القرآنية التي يُلح فيها الهدف المرجو من الرجوع إلى الدنيا، وهو الانكباب على الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى الجنة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۚ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: 99-100)، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ (الأعراف: 53)، وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً

¹ يُنظر: أبو العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكِر، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، (ط1)، 1418هـ، (297).

² الجرجاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، اعتقاد أئمة الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، (ط1)، 1412هـ، (63).

فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿الزمر: 58﴾؛ أي من الموحدين في طاعة الله¹، وقال تعالى: ﴿يَلَيْتَنِى كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء: 73)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الأحزاب: 66).

فهذه الآيات ترسم لنا مشهد الحسرة والندامة على ما فرطوا فيها من الأعمال الصالحات التي تكون سبباً في دخولهم الجنة والنجاة من النار، فيتمنى أهل النار حينها الرجوع إلى الدنيا من أجل الإكثار من الأعمال الصالحة التي استطاع إخوانهم وأقرباؤهم من أهل الجنة النجاة من النار، ودخول الجنة، فتأتي هذه الأمنية لتصف مشهد التبكيت الذي يعايشه أهل النار؛ بهدف "تدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال"²، وتقييم ما اعوجَّ من دينهم³.

فقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون: 99-100)؛ أي: أنه لا يزال "هؤلاء الكافرين يستمرون في لجاجهم وطغيانهم، حتى إذا فاجأهم الموت، ونزلت بهم سكراته، ورأوا مقاعدهم في النار، قال كل واحد منهم: رب ارجعني إلى الدنيا، (لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ)؛ أي: لكي أعمل عملاً صالحاً فيما تركت خلفي من عمري في أيام الدنيا، بأن أخلص لك العبادة والطاعة وأتبع كل ما جاء به نبيك من أقوال وأفعال"⁴.

ومما يلاحظ من سياق الآيات أنها جاءت في الحديث عن الاحتضار كما يُلَمَح من قوله: (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ)، إلا أن أمنية الرجوع إلى الدنيا لتدارك ما فات من الأعمال الصالحة حاضرة في مواطن عدة حين معاينة الحقيقة، لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ

¹ يُنظر: الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، (د.ط)، 1415هـ، (589/3). البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (5/ 307). البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (129/7). السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد، (ت: 489هـ)، تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، (ط1)، 1997م، (477/4). الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (62/4). الزحيلي، التفسير المنير، (40/24).

² قطب، في ظلال القرآن، (2480/4).

³ يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (1176/9).

⁴ الطنطاوي، التفسير الوسيط، (64/10).

تَاكْسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿السجدة: 12﴾، وغيرها من الآيات القرآنية.

فيتبين لنا من خلال استقراء الآيات الكريمة تمنى أهل النار الرجوع إلى الدنيا للاشتغال بما فيه خير وصلاح لهم، وليحظوا بالفوز الذي عاينوه أمامهم لأصحاب الجنة، وليكونوا خلفاً لهم في هذا الإرث العظيم، ولكن حال هذه الأمنية كحال غيرها من الأمنيات الأخرى.

فيتحسر كل منهم على ما فاتته من العمل، ويتمنى أن لو اتبع تعاليم الرسول الذي أرسل إليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (الفرقان: 27)، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ (الأحزاب: 66).

فيكون لسان حالهم لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي بالطاعة والإرشاد إلى الحق فاهتديت واناقيت عذابه من الشرك والمعاصي وكنت مِنَ الْمُحْسِنِينَ المؤمنين الذين أحسنوا العقيدة والعمل الصالح¹، وبيان أن المعاش الحقيقي لهم إنما هو في الآخرة كما جاءت به تعاليم القرآن الكريم ورسول الله عليهم السلام.

وبعد فشلهم الذريع وخيبة أمانهم وبطلانها التي كانوا يتمنون، يتمنى أهل النار بعدها أن يكونوا تراباً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ (النبا: 40).

¹ يُنْظَرُ: الزحيلي، التفسير المنير، (36/24).

الفصل السادس

رد القرآن الكريم على مطالب أهل النار

المبحث الأول: الخلود في النار وعدم الخروج منها

المبحث الثاني: تحريم الخير على أهل النار

المبحث الثالث: إشعار أهل النار بالحسرة والندم على أعمالهم

الفصل السادس

ردّ القرآن الكريم على مطالب أهل النار

يكابد أهل النار شتى ألوان العذاب الحسي والنفسي، فهم في كرب شديد وعذاب أليم نتيجة الاصطلاء بالنار، والأغلال المرصعة في أعناقهم، وهم مكبلون بالسلاسل، وقد عاينوا ألم العذاب وشدة الأهوال الجسام التي استحقوها بدخولهم النار، وقد لفحت النار وجوههم، وأنضجت جلودهم، وصهرت أجسادهم، وذاقوا أبشع وأنتن أنواع الطعام والشراب كالزقوم، والضريع، والغسلين، فالمعذبون طبقات بحسب دركات جهنم، فهم في عذاب محيط بهم من كل جانب؛ ليشمل الطعام والشراب واللباس والمسكن والمجلس والمناخ والأصحاب؛ وبذلك يحصل لهم العذاب؛ ليشمل جميع حواسهم اللمسية، والذوقية، والبصرية، والسمعية، جزاءً بما كانوا يفعلون.

فهم فيها يصرطرخون ويستتجدون بالله وملائكته وبأهل الجنة؛ لعل الله تعالى يخرجهم ويخفف عنهم شيئاً من هذا العذاب، كما مر في الفصول السابقة.

وقد بين لنا القرآن الكريم مطالب أهل النار التي تضرعوا بها، من أجل الخروج من النار؛ كي يتخلصوا مما هم فيه من العذاب، فيأتي الرد القرآني على هذه المطالب، ليجاب من خلالها أهل النار على مطالبهم التي تضرعوا بها. وفي هذا الفصل بيان الرد القرآني على هذه المطالب.

المبحث الأول

الخلود في النار وعدم الخروج منها

لقد توعّد الله تعالى في مواطن كثيرة من القرآن الكريم أهل الكفر والمعاصي على ما اقترفوا من الآثام بالعذاب الشديد يوم القيامة، قال عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: 39)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ (البقرة: 161-162)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (الأعراف: 36)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ (فاطر: 36)، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (الزخرف: 74).

ونلاحظ من خلال الآيات السابقة أن أهل النار الذين أخبر الله تبارك وتعالى عنهم بأنهم خالدون فيها من الكفرة والمشركين، الذين توعدهم الله تبارك وتعالى بقوله: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (٣٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقَى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ (المدثر: 26-29)، فهذه الآيات قررت مصير كل من لم يؤمن بالله رباً، ثم إن هذه النار التي أبان الله تبارك وتعالى صفتها ﴿لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ﴾؛ أي: أنها تأكل كل شيء، وتدمر كل شيء، وتحرق الجلود وتصهر الأبدان، وقد أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم، أن نار الدنيا جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم كما في الحديث: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً قَالَ: فَضَلَّتْ عَلَيْهِنَّ بَيْتَسَعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا"¹.

فلا يجد أهل النار إلا أن يستغيثوا بالله وملائكته وأهل الجنة عسى الله أن يخرجهم من النار، أو يخفف عنهم؛ للنجاة من سعيها ولهيبها.

¹ البخاري، الجامع الصحيح المسند المختصر، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة، حديث رقم (3265)، (121/4).

فهذا المشهد كغيره من مشاهد يوم القيامة، يعرض لنا صور العذاب التي رسمها القرآن الكريم، والتي نلمس من خلالها هول وفرع أهل النار، والألم الشديد نتيجة العذاب المقيم، فهم في ذل ومهانة، وانكسار شديد، فلا حول لهم ولا قوة، فلا يملكون أمامهم إلا الحسرة، والندامة، والتمني على الله الأمانى، والحنف والاعتذار على ما فرطوا في جنب الله، قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (الزمر: 56)؛ أي: لنلا تقول نفس يا حسرتاه¹، "والتحسر والتأسف والندم نظائر"²، وفي المراد بقوله تعالى: (في جنب الله)، خمسة أقوال³:

1. في طاعة الله، قاله الحسن البصري.

2. في حق الله، قاله سعيد بن جبير.

3. في أمر الله، قال مجاهد.

4. في ذكر الله، قال عكرمه.

5. في قرب الله، قاله الفراء.

والملاحظ أنها أقوال متقاربة لا تعارض بينها، فيكون المعنى على ما فرطت في طلب قرب الله وهو الجنة، فهذا يوم جزاء وليس يوم اعتذار، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التحريم: 7)، والمعنى أنه لا ينبغي لكم الانشغال بالاعتذار الذي لا ينفع في محو أثر الذنوب⁴.

¹ يُنظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (21/313).

² ابن فورك، محمد بن الحسن، تفسير ابن فورك، تح: علل عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى، السعودية، (ط1)، 2009م، (2/327).

³ يُنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (4/24).

⁴ يُنظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (4/569). البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (5/225). ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل، تح: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (ط1)، 1416هـ، (2/392). أبو حيان، البحر المحیط، (10/213). البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، (20/199). أبو السعود، إرشاد العقل السليم، (4/80).

والمراد بالنهي عن الاعتذار تحقيق اليأس لأهل النار¹، وأنه لا توبة لكم بهذا الاعتذار، وأن التوبة غير مقبولة بعد الدخول في النار².

وبينما أهل النار في حسرتهم وندامتهم إذا بهم يتمنون أمنية لا تُنال، وهي الرجوع إلى الدنيا؛ لأن الحياة قد انقضت وفانتهم فرصة النجاة من النار، فلا كرة ولا رجوع³، كما أنهم يتمنون الخروج من النار لاستدراك ما فاتهم من الأعمال في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُحْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (الأنعام: 27-28)، وقال تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء: 102)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة: 12)، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (فاطر: 37)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ (المائدة: 37)، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّن بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ (الشورى: 44). وتدل هذه الآيات على تمني أهل النار الرجوع إلى الدنيا من أجل التخلص من العذاب لعلهم ينطلقون في بداية جديدة لا يكون مصيرها الخلود في النار.

ويُلاحظ من هذه الآيات أن لأهل النار مطلبين، وهما: الخروج من النار، والرجوع إلى الدنيا، وغاية ذلك التخلص من العذاب.

¹ يُنظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (18/197).

² يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (30/572).

³ يُنظر: فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، (ص48).

وقد وردت هذه الأمانى التي يتمناها أهل النار بصيغة يعترىها التئيس، والتوبيخ، والتقريع في كل مشهد من مشاهد العذاب يوم القيامة، ومفاد هذه الأمانى عدم الاستجابة لمطلبهم بالخروج من النار أو العودة إلى الدنيا.

والياس والقنوط سيان وهما قطع الأمل، ونقيض الرجاء¹، وكل يأس في القرآن الكريم معناه القنوط، إلا قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَةٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ أفلم يأيس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد (الرعد: 31).

ثم إن أهل النار يرون العذاب ويعرضون على النار وهم خاشعون من الذل، قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشَعَةٌ﴾ (الغاشية: 2). وقوله تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ (الشورى: 45).

وهذا الخشوع الذي يقطر من وجوههم ليس خشوع تقوى ولا حياء، ولكنه خشوع ذل وهوان²، على خلاف خشوع المؤمنين في الدنيا، فيتساءلون في انكسار ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَتْنا وَأَحْيَيْتَنَا أَتَيْنَتْنا فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11)؛ أي: أنهم بعد أن اعترفوا بذنوبهم التي اقترفوها من إنكار البعث وما تتبعها من الآثام والمعاصي يطلبون الخروج أيًا كان وبأي حال سريع أو بطيء، فهذه المسألة تصدر من كلام من غلب عليه اليأس والقنوط، وإنما يقولون ذلك تعللاً وتحيراً مع نوع استبعاد واستشعار يأس منه، فجاء الرد القرآني في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ (غافر: 12)، والمعنى ما أنتم فيه، وأنه لا سبيل لكم للخروج بسبب كفركم بتوحيد الله،

¹ يُنظر: ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (6/153). ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1986م، (ص941). ابن منظور، لسان العرب، (6/259).

² يُنظر: فائز، اليوم الآخر في ظلال القرآن، (ص49).

وإيمانكم بالإشراك، والجواب الصريح عن مثل هذا الطلب أن يقال: بنعم أو لا، ولكن الله رمز إلى عدم الخروج بقوله: (ذلكم)؛ أي: ذلكم اليأس وأن لا سبيل لكم إلى الخروج قط¹.

وهذا الأسلوب الاستفهامي يستخدم في التخاطب حين اليأس²، كما في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: 11)، فهذا الاستفهام دلٌّ على اليأس، يأس مقنط يعتريه استحالة مفرطة، وكأنه من شدة ما يكابدونه يتمنون الخروج من هذا الأسى المطبق، والهول المستحكم، إنه تمنى غلب عليه اليأس وعدم الرجاء من الخروج، ولذا جاء الجواب على حسب ذلك وفيه ما فيه من التئیس؛ لأنه غلب اليأس على مطامع أهل النار وحيل بين المتمني وما يتمناه³.

ومن الردود القرآنية التي تضيء على أهل النار صورة التئیس ما جاء في قوله تعالى في سورة المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ (١٧) قَالَ اخْسَوْ فِيهَا وَلَا تُكَمِّرُونِ﴾ (المؤمنون: 107-108)، فهذه الآية إشارة إلى دعاء من أدعية أهل النار يوم القيامة بطلب الخروج من النار، حيث يتوسل أهل النار إلى الله تعالى فيجيبهم الله تبارك وتعالى بإجابة تحمل طابع التئیس الذي يزيدهم عذاباً فوق عذابهم بعد انتظار كبير، فقوله تعالى: (اخسؤا)؛ أي: ذلوا فيها وانزجروا كما تزجر الكلاب إذا زجرت⁴، فلا مجال لرفع العذاب، وهي كلمة بليغة تعني "السكوت مع الذلة والهوان؛ أي: اسكتوا سكوتاً بذلة وهوان"⁵. فيكون حالهم يوم القيامة حال هؤلاء المطرودين من رحمة الله تعالى، المحرومين من رضاه⁶.

¹ الزمخشري، الكشاف، (155/4). الرازي، مفاتيح الغيب، (496/27). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (202/3). الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (70/4). الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تح: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، (1ط)، 2013م، (475/3). والنيسابوري، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، (26/6). ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، (118/5). صديق ابن خان، محمد صديق خان بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، لمكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1992م، (168/2). القاسمي، محاسن التأويل، (304/8). الأرمي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، (1ط)، 2001م، (132/25). حوى، الأساس في التفسير، (4938/9).

² يُنظر: المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (1ط)، 1946م، (51/24).

³ درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق، (ط4)، 1415هـ، (8/466).

⁴ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، (3/204). ابن عطية، المحرر الوجيز، (4/157). الرازي، مفاتيح الغيب، (23/297).

⁵ الشعراوي، تفسير الشعراوي، (16/10166).

⁶ يُنظر: أبو زهرة، زهرة التفاسير، (10/5123).

فلا سبيل لرفع العذاب والخروج من النار؛ لأنه لا تكليف في الآخرة، لهذا يجابون بقول: ﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَاْمُونِ﴾ (المؤمنون: 108)؛ أي: لا تكلمون في رفع العذاب فإنه لا يُرفع ولا يخفف. وقيل: هذا الدعاء هو آخر كلام يتكلم به أهل النار، ثم لا كلام بعد ذلك إلا الشهيق والزفير، والعواء كعواء الكلاب، لَا يُفْهَمُونَ وَلَا يُفْهَمُونَ¹، فيقال لهم: امكثوا فيها صاغرين مهانين أذلاء، فإنه لا جواب لكم عندي اليوم².

وقد جاءت هذه الآية: ﴿قَالَ أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَاْمُونِ﴾ (المؤمنون: 108)، مليئة بالتقريع والتوبيخ، في الرد عليهم.

ومن الردود القرآنية: قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ (الزخرف: 77)، فبعد عويل كبير وصراخ عظيم يتناوحه أهل النار راجين من مالك أن يقضي عليهم لعدم قدرتهم على تحمل العذاب فيجيبهم بإجابةٍ تقيعية، (إِنَّكُمْ مَكِثُونَ)؛ أي: مقيمون فيها على الدوام، فلا خلاص لهم يومئذ ولا مناص، ثم يذكرهم رب العزة سبحانه وتعالى بآياته التي كان ينزلها عليهم ويرسله الذين أرسلوا إليهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾ (الزخرف: 78)، لقد جئناكم بالحق، ولكنكم كنتم لهذه الدعوات التي يتبعها النبي تلو النبي كارهين، فلم تكونوا تقبلونه، وتأخذون به، فقد "كانت سجاياكم لا تقبله ولا تقبل عليه، وإنما تتقاد للباطل وتعظمه، وتصد عن الحق وتأباه وتبغض أهله، فعودوا على أنفسكم بالملامة، واندموا حيث لا تنفعكم الندامة"³.

"فلما سمعوا ذلك قالوا: فاصبروا، فلعل الصبر ينفعنا، كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله، قال: فاصبروا، فطال صبرهم، فنادوا ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ (إبراهيم: 21)؛ أي منجى"⁴.

¹ يُنظر: الرازي، مفاتيح الغيب، (297/23). البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (496). الزحيلي، التفسير المنير، (104/18). حوى، الأساس في التفسير، (3669/7).

² يُنظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (434/5). المراغي، تفسير المراغي، (59/18).

³ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (221/7).

⁴ الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (76/19).

وبعد مقارعات ومحاولات كثيرة يلجأ إليها أهل النار طالبين التخلص من العذاب يود الواحد منهم أن يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه، مقدماً في ذلك اليوم ما يملكه من مال وغيره من أجل الفرار من العذاب فيأتيه الرد الذي يحمل طابع التئيس والإفشال، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوِيَّتُكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (الحديد: 15).

المبحث الثاني

تحريم الخير على أهل النار

ولا زالت الردود القرآنية تتجدد في التعليق على مطالبهم التي تمنوها من الله وملائكته وأهل الجنة، ويلمح من هذا الرد الذي سيق في بيان تحريم الخير والنعيم على أهل النار أنه ورد بأسلوب تقييدي مغاير لما قبله من الرد على طلبهم من الخروج من النار، فبينما هم يفتقرون إلى ما يتنعم به إخوانهم من أهل الجنة من النعيم والخير الكبير، إذ يتطلع أهل النار إلى ما من الله به على أهل الجنة، فيحسدونهم على ما هم فيه من الخير، فيأتي الرد القرآني الفاصل الذي يحسم مادة التمني التي يطمحها أهل النار من قبل أهل الجنة؛ بتحريم الخير عليهم من الرزق الوفير من الطعام والشراب، الذي يستطيع أهل النار من خلاله أن يتخلصوا من ربة العذاب.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 50).

فها هم يستجدون بطلب الماء والطعام ومما أفاء الله به على أهل الجنة، مع علمهم باليأس من الإجابة، إذ هم يعرفون دوام عقابهم، وأنه لا يفتر عنهم أبداً، ولكن اليأس من الشيء قد يطلبه كما قالوا في أمثالهم: (الغريق يتعلق بالزبد)¹، فحاجة الإنسان إلى الطعام والشراب حاجة ضرورية حتى وإن كان معذباً².

ومع تلك العقوبات التي تنتزل على أهل النار فإنهم يتضرعون بطلب شربة ماء أو لقمة طعام، وهم في غاية الألم، علاوة على ما اجتمع عليهم من صنوف العذاب الذي يُصب على رؤوسهم، فإن هذا لا يمنعهم من أن يستغيثوا أهل الجنة بطلب الرزق من الطعام والماء وغيرهما³.

¹ يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، (8/164).

² يُنظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (2/125).

³ يُنظر، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط3)، (د.ت)، (538/1).

ولكنه لا يُستجاب لهم لأن الله تبارك وتعالى أمدّهم بكثير من نعمه وعطاياه في الدنيا فلم يشكروه، فمنعهم نعمه في الآخرة¹.

ثم إن هذا التحريم الذي يكتبه الله عليهم هو تحريم منع لا تحريم تعبد² كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُورٌ﴾ (القصص: 12)، فتحريم المنع، إما أن يكون تحريم تكليف؛ كتحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وإما تحريم قهر؛ كتحريم الجنة وما فيها على الكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (الأعراف: 50)، فلا سبيل لإفاضة شيء من الرزق والخيرات والنعم الكثيرة التي يتمتع بها أهل الجنة على أهل النار، إلا ماؤها الحميم وطعامها الضريع والزقوم³؛ وذلك لأنهم جحدوا بآيات الله تعالى وكذبوا رسله.

ويلحظ على هذا الطلب أنه ممزوج باليأس والقنوط⁴، وليس هذا فحسب بل يملأ قلوبهم يأساً وهماً وكمداً⁵.

وقد وصف "أهل الجنة الكافرين بأنهم هم الذين كانوا السبب في هذا المنع والحرمان، إذ جعلوا دينهم أعمالاً لا تُزكى الأنفس ولا تجعلها أهلاً للتشريف والكرامة، بل هي إما لهو يشغل الإنسان عن الجدّ والأعمال المفيدة، وإما لعب لا يقصد منه فائدة صحيحة، فهو كأعمال الأطفال، وقد غرتهم الحياة الدنيا بشهواتها ولذاتها من الحرام والحلال، أما أهل الجنة فقد سعوا لها سعيها، وعلموا أن الدنيا مزرعة الآخرة، ومن ثم لم يكن من قصدهم من التمتع بنعم الله إلا الاستعانة بها على ما يرضيه من إقامة الحق والعدل، والاستعداد لحياة أبدية لا نهاية لها"⁶.

¹ يُنظر: القاسمي، محاسن التأويل، (64/5).

² يُنظر: الواحدي، التفسير الوسيط، (372/2). النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (1/ 571). السمعاني، تفسير السمعاني، (186/2). البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (15/3). القاسمي، محاسن التأويل، (64/5).

³ يُنظر: المراغي، تفسير المراغي، (8/164). رضا، تفسير المنار، (8/391).

⁴ يُنظر: الزمخشري، الكشاف، (2/ 108).

⁵ يُنظر: الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، (4/408).

⁶ المراغي، تفسير المراغي، (8/ 164).

المبحث الثالث

إشعار أهل النار بالحسرة والندم على أعمالهم

لقد أطنب القرآن الكريم في حديثه عن المطالب التي يتمناها أهل النار يوم القيامة، وعن الردود المفعمة باليأس، بالخروج من النار أو التخفيف من العذاب، بحيث لا يجد الواحد منهم ما يقدمه من أجل التخلص من وطأة العذاب، فتعثرهم الحسرة والندم على ما فاتهم من العمل في الدنيا. مما يزيدهم عذاباً فوق عذابهم، وذلك برؤية أعمالهم السيئة التي كانوا يقدمونها أو يفعلونها في دنياهم حسرة عليهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: 167).

فعندما يعاين أهل النار العذاب الذي استحقوا من خلاله الدخول في النار، بسبب جرائمهم التي ارتكبوها في الدنيا، وإعراضهم عن شرع الله تعالى، ودعوات الرسل والأنبياء عليهم السلام، فإن الله تعالى يريهم ما ارتكبه من أعمال قبيحة، فيتحسرون على ما عملوا من أعمال استحقوا من خلالها الدخول في النار، متحسرين على ما تركوا من الحسنات، فيندمون على تضييعها¹، والمراد من قوله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ﴾، "أنه يظهر لهم أن أعمالهم قد كان لها أسوأ الآثار في نفوسهم، حتى جعلتها مستعبدة لغير الله، فيورثهم ذلك حسرة وشقاء"²، وفوق ما هم فيه من العذاب، فلا يُكتفى بالعذاب الذي يلحقهم نتيجة أعمالهم السيئة، بل يُطلعهم الله تبارك وتعالى على أعمالهم الدنيئة التي اقترفوها في دنياهم التي حذرهم منها؛ ليزدادوا حسرة على حسرة.

وحين يعاين أهل النار حسن مجازاة الله تعالى المؤمنين بأعمالهم الحسنة التي استحقوا من خلالها دخول الجنة، تحسروا أيضاً على ما فاتهم من أعمال حسنة³، إذ لا يفيدهم تحسرتهم شيئاً

¹ يُنظر: البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن، (180/1). ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، (131/1). الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (101/1).

² المراغي، تفسير المراغي، (2/41).

³ يُنظر: الواحدي، التفسير الوسيط، (1/252).

لوقوعه في غير محله، وتفريطهم في الدنيا، فلو كان ندمهم فيها لنفعهم، أما وقد فات محله، فلا فائدة فيه إلا زيادة الأسف والأسى والتحسر¹.

ونلمح من الآية: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ حجم التحسر الذي يُقذف في قلوب أهل النار على ما فاتهم فيها من العمل الصالح، من خلال استخدام أداة الاستعلاء الدالة على غلبتهم وشدة هوانهم، فقال: (عليهم)²؛ "أي: ندامات شديدة، فإن الحسرة شدة الندم والكمد، وهي تألم القلب وانحساره عما يؤلمه واشتقاقها من قولهم: بغير حسير؛ أي: منقطع القوة، وهي ثالث مفاعيل يرى إن كان من رؤية القلب وإلا فهي حال، والمعنى أن أعمالهم تتقلب حسرات عليهم فلا يرون إلا حسرات مكان أعمالهم وما هم بخارجين من النار"³.

فكان في جمع حسرات دلالة "على كثرتها وأنها متوالية حسرة تخلفها حسرة، وإذ أعمالهم كثيرة، فحسراتهم كثيرة، و(حسرات) مفعول ثان؛ فالله تعالى يريهم تلك الأعمال حسرات تكبو لها النفوس بعد أن كانت في الدنيا مسرة يفرحون بها ويطربون بسوء ما يفعلون"⁴، "لما ورثته فيها من حسرة وشقاء وخسران، فهي تذهب وتضمحل، ولن يخرجوا من النار إلى الدنيا لشفاء كيدهم وغيظهم من رؤسائهم؛ لأن دخولهم النار كان بسبب الشرك وحب الأنداد"⁵.

ويلاحظ مما تقدم تصوير العذاب العظيم الذي يُطاح بأهل النار يوم القيامة، فلا ينحصر العذاب بالأبدان فحسب، بل تجتمع فيه صنوف عدة، ولعل العذاب النفسي المعبر عنه بالحسرة والمصحوب بالندم على ما فات، لهو أكثر العذاب إيقاعاً على النفس.

¹ يُنظر: العاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود، بيان المعاني، (ط1)، دمشق: مطبعة الترقى، 1965م، (114/5).

² يُنظر: البقاعي، نظم الدرر في ناسب الآيات والسور، (311/2).

³ أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (187/1).

⁴ أبو زهرة، زهرة التفاسير، (497/1).

⁵ الزحيلي، التفسير المنير، (69/2).

الخاتمة:

تبين للباحث من خلال هذا البحث عدة نتائج وتوصيات:

النتائج:

1. أكثر القرآن الكريم من ذكر النار، وصفاتها، وأسمائها، وصور أهوالها، وحال أهلها يوم القيامة؛ ليتحقق الغرض الديني المتمثل في تحصيل الإيمان والتقوى للنجاة من النار.
2. المحاولة المستمرة لأهل النار ومطالبهم، وأن هذه المطالب ما هي إلا أمانى غير متحققة، وإنما هي بعيدة المنال.
3. عدم انقطاع الاستغاثات والمحاولات التي يشرع بها أهل النار بطلب الخروج منها يوم القيامة؛ لشدة ما يكابدون من أهوالها وفضاعة عذابها.
4. نلمح صورة الحقد الشديد والبغض الكبير الذي يحمله أهل النار على من كان سبباً في إغوائهم وضلالهم من الجن والإنس، ويتمثل ذلك بطلبهم من الله مضاعفة العذاب على من كان عوناً لهم على الكفر والضلال.
5. مطالب أهل النار كانت كثيرة ومتنوعة اعتقاداً منهم أن الله سيحقق لهم هذه المطالب أو شيئاً منها كتخفيف العذاب؛ ولكن هيهات هيهات لما يتمنوه.
6. إن الباعث على هذه المطالب بمحاورها الثلاثة، ظنهم أن هذه المطالب من شأنها أن تخفف عنهم ما هم فيه من وطأة العذاب.
7. لقد تصدر أغلب مطالب أهل النار بقول (ربنا) لما فيه من تمهيد وإقرار بما كفروا وجحدوا به في الحياة الدنيا، وهذا ادعى للاستجابة بحسب ظنهم.
8. أكثر مطلب يرجوه أهل النار هو طلب الخروج من النار.

9. مطلب الخروج من النار كان على ضربين، أولاً: خروج مطلق يراد به مجرد الخروج، والآخر: مقرون بالإيمان والعمل الصالح.

10. بعد فشلهم الذريع في محاولات التوسل والتضرع إلى الله العلي العظيم، ينتقل أهل النار بمطالبهم إلى خزنة جهنم تارة وإلى أهل الجنة تارة أخرى.

11. اقتضت رحمة الله وعدله أنه أبان لعباده معالم وعواقب الشر بالإخبار عنها في كتابه سبحانه؛ وذلك بعرض صورة المطالب حية أمامهم مكلفة بالتوبيخ والشدة؛ ليداركوا ما فرطوا في جنب الله.

12. بعد فشلهم الذريع في محاولاتهم البائسة التي يتمنوها من الله وملائكته وخزنة جهنم، يتمنى أهل النار الموت بعد أن كانوا حريصين كل الحرص على الحياة وهم في الدنيا.

التوصيات:

1. يوصي الباحث بدراسة حديثة لمطالب أهل النار لتتكاتف الجهود العلمية في خدمة الكتاب والسنة.

2. كما ويوصي الباحث بالاهتمام في دراسة ألوان العذاب التي أفصح عنها القرآن الكريم بدراسات مستقلة.

3. الاهتمام بدراسة التصوير الفني في آيات المطالب لتجسد صورة الحياة الآخروية بشكل كبير.

وختاماً، فهذا جهد المقل الذي حاول استدراك المعرفة في مظانها؛ فإن أصبت فبتوفيق من الله، وإن لم أصب؛ فحسبي من هذا أجر الاجتهاد، والله ولي التوفيق.

الفهارس والقوائم العامة

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	الآية	السورة
68	15	﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	البقرة
14	24	﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	البقرة
46	26	﴿مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾	البقرة
36	28	﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	البقرة
87	39	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	البقرة
87	161	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	البقرة
87	162	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾	البقرة
71	165	﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾	البقرة
72	166	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾	البقرة
96، 72	167	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ﴾	البقرة

		كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٤١﴾	
آل عمران	91	41	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۚ﴾
النساء	13	18	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۚ﴾
النساء	14	19	﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۖ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ ۖ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ۚ﴾
النساء	56	11	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلْنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ﴾
النساء	73	83	﴿يَلَيَّتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ۚ﴾
النساء	142	65، 68	﴿يُخَذِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ۚ﴾
النساء	145	14	﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۚ﴾
المائدة	37	35، 89	﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۚ﴾
الأنعام	27-28	37، 39، 76، 78، 80، 89	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيَّتَنَّا نَرُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾ بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۚ﴾

29	112	﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾	الأنعام
88	36	﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	الأعراف
26، 30، 32	38	﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾	الأعراف
58	44	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَاذَنْتَ مُؤَدِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾	الأعراف
58	45	﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾	الأعراف
58	46	﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْهِمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ﴾	الأعراف
58	47	﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾	الأعراف
58	48	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾	الأعراف
58	49	﴿أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾	الأعراف

الأعراف	﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنِ افْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾	50	24، 58، 94
الأعراف	﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾	51	62
الأعراف	﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفْعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾	53	82
الأعراف	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾	172	36
هود	﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾	105	17
هود	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَمِنَ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾	106	11
هود	﴿خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾	107	11
الرعد	﴿وَلَوْ أَنَّ قُتُونَا سِيرْتِ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُفِّرَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلِ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِ الْبَشَرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا	31	90

		يُخْلِفُ الْمِعَادَ ﴿١٠٠﴾	
92	21	﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾	إبراهيم
75	22	﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِي إِنْ كَفَرْتُمْ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	إبراهيم
13	28	﴿أَمَرْنَا إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾	إبراهيم
13	29	﴿جَهَنَّمَ يَصَلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾	إبراهيم
78	2	﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾	الحجر
14	44-43	﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾	الحجر
31	88	﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾	النحل
19	97	﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ يُنْذِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾	الإسراء
19	98	﴿ذَلِكَ جَزَاءُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظْمًا وَرُفَاتًا أَيْنَا لِمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾	الإسراء
75	103	﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾	الكهف

الكهف	﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾	104	43
مريم	﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْفِيًّا﴾	16	73
مريم	﴿فَوَرِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾	68	13
طه	﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿٩٢﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا﴾	101-99	19
الحج	﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشَّ الْمَصِيرُ﴾	72	10
المؤمنون	﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾	100-99	83، 82
المؤمنون	﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٩٧﴾ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَاْمُونَ﴾	108-107	23، 27، 91
المؤمنون	﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾	115	9
الفرقان	﴿وَيَوْمَ يَعِضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوْنِيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾	29-27	71
الشعراء	﴿فَكَبِكَبُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودَ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَنِي	98-94	

		ضَلَّلِ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾	
الشعراء	﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾	101-100	40
الشعراء	﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتُجَنَّبُ عَنْ الْمُؤْمِنِينَ﴾	102	41، 78، 89
القصص	﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصْحُونَ﴾	12	95
القصص	﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾	15	53
القصص	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾	62-63	74
السجدة	﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُرْسَلُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾	12	27، 36، 39، 83
الأحزاب	﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾	66	83، 84
الأحزاب	﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ﴾	67	32
الأحزاب	﴿رَبَّنَا إِنَّهُمْ ضَعَفَيْنَ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرًا﴾	68	72
سبأ	﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْلُكُم أَهْلُكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾	40-41	75
فاطر	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ	36	53

		فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافُورٍ ﴿١٠﴾	
37، 39، 40، 89	37	﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾	فاطر
26، 32	61	﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾	ص
88	56	﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَقْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾	الزمر
28، 43	58	﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾	الزمر
52	68	﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾	الزمر
35، 37، 89، 90، 91	11	﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾	غافر
37، 90	12	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَأِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾	غافر
23، 48	50-49	﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَأْتِكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا	غافر

		بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٨٤﴾	
80	85-84	﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَاكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾	غافر
29، 26	29	﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾	فصلت
18	46	﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	فصلت
13	7	﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾	الشورى
89، 38	44	﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ ۖ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾	الشورى
90	45	﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾	الشورى
75	36	﴿وَمَنْ يَعَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾	الزخرف
87	74	﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾	الزخرف

الزخرف	﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِينُونَ﴾	77	23، 47، 52، 54، 92
الزخرف	﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾	78	92
الجنات	﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُمْ أَخَذُوا مِنْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُولًا وَعَرَّتْكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	35	38
ق	﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾	27	75
ق	﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾	30	15
الذاريات	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	9
الواقعة	﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾	71	10
الواقعة	﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحُمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾	42-45	60
الحديد	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿٥٦﴾ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	13	64
الحديد	﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا ﴿٥٦﴾ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	14	68
الحديد	﴿فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَىٰكُمْ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾	15	93
التحريم	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ	6	12

		بَشَادُ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿١٨﴾	
88	7	﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	التحريم
50	2 - 1	﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ﴾	الحاقة
68	37-19	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِيَّ ۝٢٠ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۝٢١ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝٢٤ وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ۖ يَقُولُ يَلَيَّتَنِي لَوْ أَنِّي كُنْتُ بِعَيْنِي ۝٢٥ وَلَمْ أَدرِ مَا حِسَابِيَّ ۝٢٦ يَلَيَّتَنِي مَا كُنْتُ الْفَاضِيَةَ ۝٢٧ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِي ۝٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾	الحاقة
16، 13، 87، 46	29-25	﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَا أَذْرَكَ مَا سَقَرُوا ۝٢٧ لَا تَبْقَىٰ وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوْحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾	المدثر
46، 15	30	﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾	المدثر
46، 15	31	﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً ۚ لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزِدَّادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾	المدثر

45	25-24	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٤٥﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾	القيامة
13	22-21	﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٥١﴾ لِلْظَّالِمِينَ مَعَابًا﴾	النبا
17	25 - 24	﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٤٦﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَعَسَاقًا﴾	النبا
84	40	﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾	النبا
13	36	﴿وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾	النازعات
68	13-7	﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَى سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾	الانشقاق
82، 80	24-23	﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴿٣٢﴾ يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾	الفجر
90	2	﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾	الغاشية
16	14	﴿فَأَنْذَرْنَاكُمْ نَارًا تَلْقَى﴾	الليل
70	8-7	﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾	الزلزلة
13	11-8	﴿وَأَمَّا مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ﴾	القارعة
13	4	﴿كَلَّا لَيُنْبَذَتَ فِي الْهَاطَةِ﴾	الهمزة
15	9 - 6	﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾	الهمزة
16	3	﴿سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾	المسد
29	6-5	﴿الَّذِي يُوسَّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾	الناس

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	المصدر	الحديث
57	صحيح البخاري	"أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ..."
35	صحيح البخاري	"إِنَّ أَهْلَ النَّارِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَرَجُلٌ، تُوَضَّعُ فِي..."
66	الدر المنثور	"بَيْنَمَا النَّاسُ فِي ظُلْمَةٍ، إِذَا بَعَثَ اللَّهُ نُورًا، فَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ..."
66	ابن أبي حاتم	"تُبْعَتْ ظُلْمَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا كَافِرٍ يَرَى كَفَّهُ..."
ج	سنن أبي داود	"لا يشكر الله من لا يشكر الناس"
87، 39	صحيح البخاري	"تَارَكُمُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ..."
11	صحيح مسلم	"يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنْ..."
61	ابن أبي شيبة	"يُنَادِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ فَيَقُولُ: إِنِّي قَدْ احْتَرَفْتُ فَأَفِضْ عَلَيَّ..."

المصادر والمراجع

1. الأرمي، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله، تفسير حقائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت، (ط1)، 2001م.
2. الأشقر، عمر بن سليمان بن عبد الله، الجنة والنار، دار النفائس، الأردن، (ط7)، 1998م.
3. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، (ط1)، 1412هـ.
4. الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، (ت: 1270هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1415هـ.
5. الأمير، موسى سلوم عباس، الوصف في القرآن دراسة بلاغية، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1971م.
6. الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2004م.
7. ابن باديس، عبد الحميد محمد الصنهاجي، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مكتبة الشركة الجزائرية مراقة بوداود وشركاؤهما، الجزائر، (ط2)، (د.ت).
8. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، (ت: 256هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، (ط1)، (د.ت).

9. بخيت، رجب محمود إبراهيم، تأمل الفرق بين مطالب الظالمين في الدنيا والآخرة والسنة النبوية الصحيحة، دار الإيمان القاهرة، (د.ط)، 2004م.
10. البرسوي، إسماعيل حقي بن مصطفى، روح البيان، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
11. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، (ت: 510هـ)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تح: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية (ط4)، 1997م.
12. البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، (ت: 885هـ)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1995م.
13. البضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد، (ت: 685هـ)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط1)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، 1418هـ.
14. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، البعث والنشور، تح: الشيخ عامر أحمد حيدر، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، (ط1)، 1986م.
15. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، (ط2)، 1975م.
16. ابن تيميه، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الإيمان، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأردن، (ط5)، 1996م.
17. —، مجموع الفتاوى، تح: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، (د.ط)، 1995م.

18. الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف، الجواهر الحسان في تفسير القرآن،
تح: الشيخ محمد علي معوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، 1418هـ.
19. الثعالبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تح: الإمام أبي
محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (ط1)، 2002م.
20. الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر، (ت: 1439هـ)، أيسر التفاسير لكلام علي
الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، (ط5)، 2003م.
21. الجرجاني، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، اعتقاد أئمة الحديث، تح: محمد بن
عبد الرحمن الخميس، دار العاصمة، الرياض، (ط1)، 1412هـ.
22. ابن جزي، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، (ت: 741هـ)، التسهيل لعلوم التنزيل،
تح: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، (ط1)، 1416هـ.
23. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد، زاد المسير في علم التفسير،
تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط1)، 1422هـ.
24. الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد
عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1987م.
25. ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، تفسير القرآن العظيم لابن
أبي حاتم، تح: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية
السعودية، (ط3)، 1419هـ.
26. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة
الخانجي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
27. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، (ط6)، 1424هـ.

28. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، (ت: 745هـ)، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1420هـ.
29. الخازن، أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر، (ت: 741هـ)، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، (د.ت).
30. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الأتباع والمتبعون في القرآن، دار المنار للنشر والتوزيع، عمان، (ط1)، 1994م.
31. الخطيب، عبد الكريم يونس، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
32. أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير، سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
33. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، إعراب القرآن وبيانه، دار اليمامة، دمشق، (ط4)، 1415هـ.
34. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي، (ت: 606هـ)، مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2000م.
35. الراغب، عبد السلام أحمد، وظيفة الصورة الفنية في القرآن، فصلت للدراسة والترجمة والنشر، حلب، (ط1) 2001م.
36. ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (795)، التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، تح: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، (ط2)، 1988م.
37. رضا، محمد رشيد بن علي، (ت: 1354هـ)، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، 1990م.

38. بيتر آن دُوزي، **تكملة المعاجم العربية**، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، (ط1)، 2000م.
39. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق، (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية، لبنان، (د.ط)، (د.ت).
40. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، **معاني القرآن وإعرابه**، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، 1988م.
41. الزحيلي، د.وهبه بن مصطفى، **التفسير المنير**، دار الفكر المعاصر، بيروت، (ط2)، 1418هـ.
42. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، تح: د. يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون، (ط1)، بيروت: دار المعرفة، 1990م.
43. الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1998م.
44. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، (ط3)، 1407هـ.
45. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى، **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
46. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تح: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م.
47. أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

48. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم، (د.ن)، (د.م)، (د.ط)، (د.ت).
49. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد، (ت: 489هـ)، تفسير السمعاني، تح: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، (ط1)، 1997م.
50. السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1996م.
51. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت: 911هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تح: الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2008م.
52. —، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
53. —، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1988م.
54. بنت الشاطي، عائشة محمد علي عبد الرحمن، الإعجاز البياني ومسائل نافع بن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، (ط3)، (د.ت).
55. أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز الأمان، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
56. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).
57. الشربيني، شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي، (ت: 977هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة، (د.ط)، 1285هـ.
58. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، (ت: 1393هـ)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د.ط)، 1995م.

59. الشنقيطي، مختار عمر مختار، أسلوب التمني في القرآن الكريم رسالة ماجستير.
60. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (ت: 1250هـ)، فتح القدير، دار الكلم الطيب، دمشق، (ط1)، 1414هـ.
61. ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان، مصنف ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، (ط1)، 1409هـ.
62. صديق ابن خان، محمد صديق خان بن حسن بن علي، فتح البيان في مقاصد القرآن، لمكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، (د.ط)، 1992م.
63. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، (ت: 310هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تح: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م.
64. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (ط1)، 1997م.
65. الطيبي، شرف الدين الحسين بن عبد الله، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تح: إياد محمد الغوج، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، دبي، (ط1)، 2013م.
66. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (ت: 1393هـ)، التحرير والتنوير، (د. ط)، تونس: الدار التونسية للنشر، 1984م.
67. العاني، عبد القادر بن ملاً حويش السيد محمود، بيان المعاني، (ط1)، دمشق: مطبعة الترقى، 1965م.
68. عبد الباقي، محمد فؤاد، (ت: 1388هـ)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، لبنان، (ط2)، 1981م.

69. ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تح: أحمد عبد الله القرشي رسلان، حسن عباس زكي، القاهرة، (د.ط)، 1419هـ.
70. أبو العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين علي بن محمد، **شرح العقيدة الطحاوية**، تح: أحمد شاكر، السعودية، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، (ط1)، 1418هـ.
71. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن، (ت: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1422هـ.
72. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **الاقتصاد في الاعتقاد**، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 2004م.
73. فائز، أحمد، **اليوم الآخر في ظلال القرآن**، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط1)، 2000م.
74. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **مجل اللغة**، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، 1986م.
75. ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، (د.ط)، بيروت: دار الفكر، 1979م.
76. الفاروقي، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان ناشرون، (ط1)، 1996م.
77. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله، **معاني القرآن**، تح: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، (ط1)، (د.ت).
78. ابن فورك، محمد بن الحسن، **تفسير ابن فورك**، تح: علاء عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى، السعودية، (ط1)، 2009م.

79. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، (ت: 817هـ)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تح: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (د.ط)، 1996م.
80. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، (ط8)، 2005م.
81. القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم، (ت: 1332هـ)، محاسن التأويل، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1418هـ.
82. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، غريب القرآن، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 1978م.
83. القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (ت: 1440هـ)، عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، مطبعة سفير، الرياض، (د.ط)، (د.ت).
84. القرضاوي، يوسف، السنة مصدر للمعرفة والحضارة، دار الشروق، بيروت، (ط1)، 1997م.
85. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تح: د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، (ط1)، 1425هـ.
86. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، (ط2)، 1964م.
87. القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (ت: 465هـ)، لطائف الإشارات، تح: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (ط3)، (د.ت).

88. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، (ط17)، 1412هـ.
89. قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
90. ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، تح: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، (د.ط)، (د.ت).
91. ابن القيم، الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه، تح: د. محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة، (د.ط)، (د.ت).
92. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (ت: 774هـ)، تفسير القرآن العظيم، تح: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1419هـ.
93. الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبله للثقافة الإسلامية، جدة، (د.ط)، (د.ت).
94. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، الكليات، تح: محمد المصري وغيره، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
95. الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان، غاية الأمانى في تفسير الكلام الرباني، تح: محمد مصطفى كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا، (د.ط)، 2007م.
96. الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، (ت: 333هـ)، تأويلات أهل السنة، تح: مجدي باسلوم، (ط1)، بيروت: دار الكتب العلمية، 2005م.
97. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد، النكت والعيون، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
98. مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، التفسير الوسيط، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، (ط1)، 1993م.

99. مجموعة من المتخصصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، (ط4)، (د.ت.).
100. مختار، أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، بيروت، (ط1)، 2008م.
101. المراغي، أحمد بن مصطفى، (ت: 1371هـ)، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (ط1)، 1946م.
102. مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)، (د.ت.).
103. مصطفى، إبراهيم، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الإسكندرية، (د.ط)، (د.ت.).
104. مقبل، هالا سعيد محمد، الحوار في مشاهد يوم القيامة دراسة دلالية بيانية، رسالة ماجستير.
105. الملطي، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، تح: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، (د.ط)، (د.ت.).
106. المنصوري، مصطفى الحصن، المقتطف من عيون التفاسير، تحقيق: محمد علي الصابوني، الدار الشامية، بيروت، (ط2) 1996م.
107. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد، (ت: 711هـ)، لسان العرب، (ط1)، بيروت: دار صادر، (د.ت.).
108. ابن النازم، بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد، شرح ابن ناظم على ألفية ابن مالك، تح: محمد باسل العيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1420هـ.

109. النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1421هـ.
110. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تح: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، (ط1)، 1998م.
111. النعماني، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1998م.
112. النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تح: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، (ط1)، 1416هـ.
113. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، (د.ط)، 1415هـ.

**An- Najah National University
Faculty of Graduates Studies**

**The Expectations of People of Hell at
The Day of Judgment
"Studies in the light of Quran"**

**By
Eyad Ali Anees Aghbariah**

**Supervised by
Prof. Audi Abdullah Audi**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for
the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din),
Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus,
Palestine.**

2019

**The Expectations of People of Hell at The Day of Judgment
"Studies in the light of Quran"**

**By
Eyad Ali Anees Aghbariah
supervision by
Prof. Audi Abdullah Audi**

ABSTRACT

No doubt, Allah the almighty has a great blessing towards the mankind that He has gifted with the Holy Quran. This holy book gives a thorough knowledge of all types of profits and losses and ultimate results of all the efforts. The aim of this paper is to discuss the expectations of people of hell (ahal nar) at the Day of Judgment in the light of Quranic studies.

The aim of this paper is also to discuss the limits of obligations as given by the Allah almighty. Crossing the limits is not allowed in any way in light of Quranic teachings. The paper is fully based on Quranic studies and its title is ‘‘Expectations of the people of hell at the Day of Judgment’’. By this way the writer wants to elaborate the false hopes and expectations of the ill-fated people of hell. Their hopes can be described in three types, firstly hope from Allah, secondly hope from the hell or angels of hell and thirdly from the lucky persons of heaven.

At the end, their hopes will be rejected because they had not acted upon the guide lines of Quran during the life. They were in dark and remained away from right path. They violated the limits fixed by Allah (Haddood Allah).

The author divided the research work into six chapters, including one preface and one conclusion. After the thorough discussion, He proved that the belief of rebirth after death is true which was denied by the people of hell. Also he proved this belief firmly which was not agreed by the people of hell.

No doubt, the expectations of people of hell from Allah will be one sided and based on their own wishes. Their hopes will not be fulfilled because they had never accepted the clear instructions of Quran. All their wishes were baseless and false. So not possible to be materialized forever .